عاطف وجيه
Atef Wagih

البابا شنوده الثالث

مقالات روحية

نشرت في جريدة الجمهورية

في سنتي ١٩٧١ ، ١٩٧٢

http://coptic-treasures.com

البابا شنوده الثالث

مقالات روحية

نشرت في جريدة الجمهورية

• في سنتي ١٩٧١ ، ١٩٧٢ •

Spiritual Articles

Published in El Gomhouria Newspaper

(in 1971 and 1972)

by H.H. Pope Shenouda III

2nd print
June 2003
Cairo

الطبعة الثانية
يونيو ٢٠٠٣
القاهرة

http://coptic-treasures.com

اسم الكتاب : مقالات روحية نُشرت فى جريدة الجمهورية .
المؤلف : قداسة البابا شنوده الثالث .
التاريخ : نوفمبر ١٩٨٥ م .
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) بالعباسية - القاهرة .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٧٢٠٠ / ١٩٨٥ م .

http://coptic-treasures.com

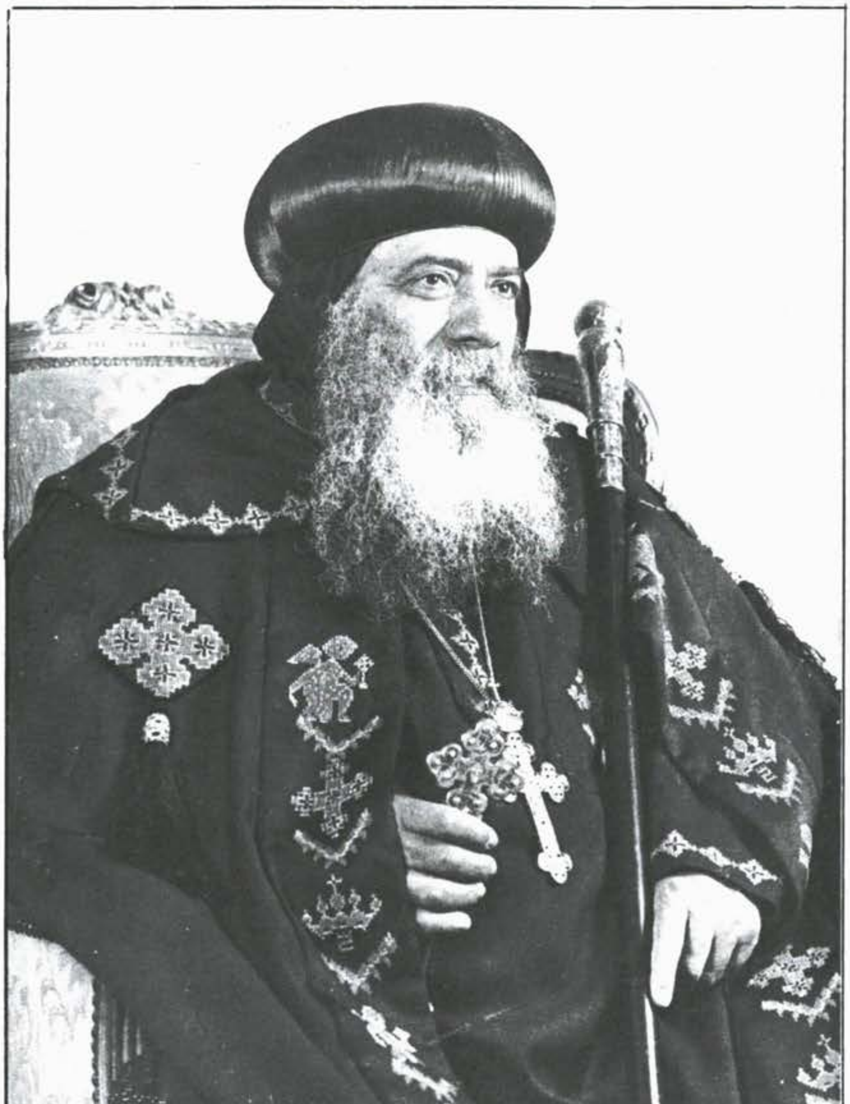

حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

http://coptic-treasures.com

[illegible]

البابا شنوده الثالث

[illegible]

http://coptic-treasures.com

قصة هذا الكتاب

بدأت هذه المقالات منذ أربع عشرة سنة ، من نوفمبر سنة ١٩٧١، بعد حفلة تجليسى على كرسى مار مرقس... زارنى الأستاذ مصطفى بهجت بدوى رئيس مجلس إدارة جريدة الجمهورية، ومعه الاستاذ أحمد حمروش عضو مجلس الإدارة المنتدب. وطلبا منى تحرير مقال اسبوعى نيشر فى الجريدة صباح كل أحد... وقد كان. ونشرت المقالات تباعاً، فى موضع ثابت، فى الصفحة الثالثة...

وكان المقال الأول « بين الصمت والكلام » ، نُشر فى يوم الأحد ٧١/١١/٢٨. وطبعت الجريدة مائة ألف نسخة زيادة لتغطى حاجة الجماهير. وكان المقال الثانى عن التواضع (١٢/٥)... ولاقت المقالات إقبالاً شديداً من القراء، مسلمين ومسيحيين. وكانت كلها عن الفضيلة، لا تتعرض للعقائد إطلاقاً. وتوالت زيادة ما يُطبع من أعداد.

وكان آخر مقال نُشر فى هذه المجموعة هو «رحلة الخبر إلى اذنيك» فى يوم ١٩٧٢/٧/٩ ...

واعتذرت بعد ذلك عن الكتابة فى الجريدة ...

وطالبنى الكثيرون بأن أنشر هذه المقالات فى كتاب ..

وقام ابننا القمص يوحنا البراموسى ، كاهن الكنيسة القبطية فى فينا ، بترجمة هذه المقالات إلى اللغة الألمانية، ونشرها فى النمسا...

وأخيراً سمح الله أن ننشرها فى هذا الكتاب ... ولكنها لم تنشر بنفس الترتيب الذى صدرت به منذ أربع عشرة سنة...

وإنما رتبناها ترتيباً جديداً بطريقة موضوعية على قدر الامكان.

راعينا جمع الموضوعات التى تدور حول فكر واحد ، أو فكر متكامل، أو التى يجمعها عنوان كبير، لتكون معاً... كما لو كنا قد قسمنا الموضوعات إلى مجموعات...

http://coptic-treasures.com

ونشرناها هكذا ، لتكون الفائدة من قراءتها أكثر ، وأسهل ...

وأخترنا لها عنواناً شاملاً هو « مقالات روحية » .

نرجو من الرب أن يستخدمها لمنفعتك الروحية ..

شنوده الثالث

نوفمبر ١٩٨٥ م

http://coptic-treasures.com

ماهو الخير

كلنا نؤمن بالخير ، ونريد أن نعمل الخير .

ولكننا نختلف فيما بيننا فى معنى الخير وفى طريقته .

وما يظنه أحدنا خيراً ، قد يراه غيره شراً !!

فما هو الخير إذن ؟ وما هى مقاييسه ؟

لكى نحكم على أى عمل بأنه خير ، ينبغى أن يكون هذا العمل خيراً فى ذاته ، وخيراً فى وسيلته ... وخيراً فى هدفه ، وبقدر الإمكان يكون أيضاً خيراً فى نتيجته .

وسنحاول أن نتناول هذه النقاط واحدة فواحدة ، ونحللها . وسؤالنا الأول هو: ما معنى أن يكون العمل خيراً فى ذاته !

فى الواقع ان كثيرين - بنية طيبة - قد يعملون أعمالاً يظنونها خيراً. وهى على عكس ذلك ربما تكون شراً خالصاً ..

مثال ذلك الأب الذى يدلل ابنه تدليلاً زائداً يتلفه ، وهو يظن ذلك خيراً !! ومثال ذلك أيضاً الأب الذى يقسو على ابنه قسوة تجعله يطلب الحنان من مصدر آخر ربما يقوده إلى الانحراف . وقد يظن ذلك الأب أن قسوته نوع من الحزم والتربية الصالحة . ومن أمثلة الذين يظنون عملهم خيراً وهو شرٌ فى ذاته ، أولئك الذين عناهم السيد المسيح بقوله لتلاميذه : «تأتى ساعة يظن فيها كل مَن يقتلكم أنه يقدم خدمة لله» .

إن الناس يختلفون فيما بينهم فى معنى الخير . ويختلفون فى حكمهم على الأعمال . ويتناقشون حول ذلك ويتصارعون. وقد يعمل أحدهم عملاً ، فيعجب به الناس ويمتدحونه ، و يسرفون فى مدحه ، بينما يتضايق البعض من نفس هذا العمل الذى يمدحه زملاؤهم . و يتناظر الفريقان ، وكل منهما يؤيد وجهة نظره بأدلة

http://coptic-treasures.com

وبراهين، ويتولى الفريق الآخر الرد عليها بأدلة عكسية. ويبقى الحق حائراً بين هؤلاء وهؤلاء.

من أجل هذا كان على الإنسان أن يتمهل ويتروى، ولا يتعجل فى حكمه على الأمور.

بل عليه أيضاً أن يتروى قبل أن يعمل عملاً، ويحاول أن يتأكد أولاً من خيرية تصرفه. ومن أجل هذا أيضاً أوجد الله المشيرين وذوى الخبرة والفهم كأدلاء فى طريق الحياة. وهكذا قال الكتاب المقدس: **«الذين بلا مرشد يسقطون مثل أوراق الشجر»**. وأوجد الله المربين والحكماء. وجعل هذا أيضاً فى مسئولية الوالدين والمعلمين والقادة وآباء الاعتراف، وكل مَن يؤتمنون على أعمال التوعية والإرشاد.

ولكن يشترط فى المرشد الذى يدل الناس على طريق الخير، أن يكون هو نفسه حكيماً، صافياً فى روحه...

وينبغى أن يكون هذا المرشد عميقاً فى فهمه، لئلا يضل غيره من حيث لا يدرى ولا يقصد. ولهذا السبب لا يصح أن يسرع أحد باقامة نفسه على هداية غيره، فقد قال يعقوب الرسول: «لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتى، لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا»... حقاً ما أصعب السقطة التى تأتى نتيجة أن يتبوأ أى إنسان مسئولية الإرشاد فيضيع غيره... ولهذا قال السيد المسيح: **«أعمى يقود أعمى، كلاهما يسقطان فى حفرة»**.

لذلك كان كثير من الآباء المتواضعين بقلوبهم يهربون من مراكز القيادة الروحية، شاعرين أنهم ليسوا أهلاً لها، وخائفين من نتائجها. وعارفين أن الشخص الذى يقود غيره فى طريق ما، أو ينصح غيره نصيحة معينة، إنما **يتحمل أمام الله مسئولية نتائج توجيهاته ونصائحه**، ويعطى حساباً عن نفس هذا الشخص الذى سمع نصيحته. وقد قيل فى ذلك إن نفساً تؤخذ عوضاً عن نفس.

فعلى الإنسان حينما يسترشد أنه يدقق فى اختيار مرشديه، ولا يسمع لكل قول، ولا يجرى وراء كل نصيحة مهما كان قائلها. وإنا يتبع الحق وليس الناس. وكما قال بطرس الرسول: «ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس». إذن الخير مرتبط

http://coptic-treasures.com

بالحق ، ومرتبط بكلام الله إن أحسن الناس فهمه ، وإن أحسنوا تفسيره ، وإن ساروا وراء روحه لا حرفه .

إن كلام الله هو الحق الخالص ، والخير الخالص ،
ولكن تفسير الناس لكلام الله قد يكون شيئاً آخر .

إن كلام الله يحتاج إلى ضمير حى يفهمه ، وإلى قلب نقى يدركه . وما أخطر أن نحد كلام الله بفهمنا الخاص !! وما أخطر أن نغتر بفهمنا الخاص ، ونظن أنه الحق ولا حق غيره ، وانه الفهم السليم ولا فهم غيره .. !

إن الذى يريد أن يعرف الخير ، عليه أن يتواضع ...

يتواضع فيسأل غيره ، ويقرأ ويبحث ويتأمل ، محاولاً أن يصل وأن يفهم ... وحينما يسأل ، عليه أن يسأل الروحيين المتواضعين الذين يكشف لهم الله أسراره . وعليه أن يسأل الحكماء الفاهمين ذوى المعرفة الحقيقية والادراك العميق . وكما قال الشاعر :

فخذوا العلم على أربابه واطلبوا الحكمة عند الحكماء

لو كنا جميعاً نعرف الخير ، ما كنا نتخاصم وما كنا نختلف ... علينا إذن ـ فى تواضع القلب ـ أن نصلى كما صلى داود النبى من قبل : **« علمنى يارب طرقك ، فهمنى سبلك »** .

إن الصلاة بلا شك هى وسيلة أساسية لمعرفة الحق والخير ، فيها وبها يكشف الله للناس الطريق السليم الصحيح .

وهنا نسأل سؤالاً هاماً :

هل الضمير هو الحكم فى معرفة الخير ؟ وهل نتبعه بلا نقاش ؟

أجيب وأقول : يجب على الإنسان أن يطيع ضميره ، ولكن يجب أيضاً أن يكون ضميره صالحاً . فهناك ضمائر تحتاج إلى هداية . إن الأخ الذى قتل أخته دفاعاً عن الشرف ، أو الأخ الذى قتل أخته لأنها أرادت الزواج بعد زوجها الأول ... ألم يكن كل منهما مستريح الضمير فى قتله لأخته ؟! ألم يسر كل منهما على هدى من ضميره ، وكان ضميره مريضاً ؟!

http://coptic-treasures.com

إن الضمير يستنير بالمعرفة : بالوعظ والتعليم ، بالاسترشاد ، بالنصح ، بالقراءة ... فلنداوم على كل هذا ، لكى يكون لنا ضمير صالح أمام الله ...

لأننا كثيراً ما نعمل عملاً بضمير مستريح ، واثقين أنه خير ..!!

ثم يتضح لنا بعد حين أنه كان عملاً خاطئاً !

فنندم على هذا العمل ، الذى كان يريحنا و يفرحنا من قبل .

وأمثال هذا العمل قد يسمى فى الروحيات أحياناً « خطيئة جهل » ...

إن الإنسان الصالح ينمو يوماً بعد يوم فى معرفته الروحية . و بهذا النمو يستنير ضميره أكثر، فيعرف ما لم يكن يعرفه ، و يدرك أعماقاً من الخير لم يكن يدركها قبلاً ...

وربما بعض فضائله السابقة تتضح له كأنها لا شيء ، بل قد يستصغر نفسه حينما كان يتيه بها فى يوم ما ..!

من هنا كان القديسون متواضعين ... لأنهم كل يوم يتكشفون ضآلة الفضائل التى جاهدوا من أجلها زمناً طو يلاً ..!

وذلك بسبب نمو ضميرهم وشدة استنارته فى معرفة الخير ...
والخير يرتبط بنسيانه ...

إذ ننسى الخير الذى نفعله ، من فرط انشغالنا بالسعى وراء خير آخر أعظم منه ، نرى أننا لا نعمله نحن ، وإنما يعمله الله بواسطتنا . وكان يمكن أن يعمله بواسطة غيرنا ، لولا أنه من تواضعه ومحبته شاء أن يتم هذا الخير على أيدينا ، على غير استحقاق منا لذلك ...

ولكن ما هو الخير ؟ وكيف يكون خيراً فى ذاته ؟ وفى وسيلته ؟ وفى هدفه ؟ وفى نتيجته ؟

أرى أننى قد طفت معك حول إطار هذه الصورة ... التى ليتنا نستطيع أن نتأملها فى مقال آخر إن أحبت نعمة الله وعشنا ...

http://coptic-treasures.com

الإنسان الخيّر

الخير هو أن ترتفع فوق مستوى ذاتك ولذاتك ... وأن تطلب الحق أينما وجد، وتثبت فيه وتحتمل من أجله.

الخير هو النقاوة، هو الطهر والقداسة ... هو الكمال.

الخير لا يتجزأ :

فلا يكون إنسان خيّراً وغير خيّر فى وقت واحد ...

أى لا يكون صالحاً وشريراً فى نفس الوقت.

الإنسان الخيّر :

ليس هو الذى تزيد حسناته على سيئاته !

فربما سيئة واحدة تتلف نقاوته وصفاء قلبه !

إن نقطة حبر واحدة كافية لأن تعكر كوباً من الماء بأكمله، وميكروباً واحداً كاف لأن يلقى إنساناً على فراش المرض. ليس هو محتاجاً إلى مجموعات متعددة من الجراثيم لكى يحسب مريضاً !! تكفى جرثومة واحدة... كذلك خطية واحدة يمكنها أن تضيع قداسة الإنسان...

إن الشخص الشرير ليس هو الذى يرتكب كل أنواع الشرور. إنما بواسطة شر واحد يفقد نقاوته مهما كانت له فضائل متعددة ...

فالسارق إنسان شرير. لا نحسبه من الأخيار. وربما يكون فى نفس الوقت لطيفاً أو بشوشاً، أو متواضعاً، أو متسامحاً، أو كريماً، أو نشيطاً ...

والظالم إنسان شرير، وكذلك القاسى، وكذلك الشتام، وقد يكون أى واحد من هؤلاء غيوراً، أو شجاعاً، أو مواظباً على الصلاة والصوم ..!

http://coptic-treasures.com

إن أردت أن تكون خيّراً ، سر فى طريق الخير كله ... ولا تترك شائبة واحدة تعكر نقاء قلبك .

ولا تظن أنك تستطيع أن تغطى رذيلة بفضيلة .

أو أن تعوض سقوطك فى خطيئة معينة ، بنجاحك فى زاوية أخرى من زوايا الخير... بل فى المكان الذى هزمك الشيطان فيه ، يجب أن تنتصر... على نفس الخطية ، وعلى نفس نقطة الضعف...

كن إنسان خيّراً ، قس نفسك بكل مقاييس الكمال . واعرف نواحى النقص فيك ، وجاهد لكى تنتصر عليها ... فهكذا علمنا الإنجيل المقدس : « كونوا كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل... كونوا قديسين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو قدوس... » (مت ٥ : ٤٨) .

نحن مطالبون إذن بأن نسير فى طريق الكمال ، لأن النقص ليس خيراً... والخير ليس هو فقط أن تعمل الخير... بل بالأحرى أن تحب الخير الذى تعمله ...

فقد يوجد إنسان يفعل الخير مرغماً دون أن يريده ، أو أن يعمل الخير بدافع الخوف ، أو بدافع الرياء لكى ينظره الناس أو لكى يكتسب مديحاً ... أو لكى يهرب من انتقاد الآخرين . وقد يوجد مَن يفعل الخير وهو متذمر ومتضايق : كمَن يقول الصدق ونفسيته متعبة ، و بوده لو يكذب و ينجو . وكمَن يتصدق على فقير وهو ساخط ، و بوده ألاّ يدفع ...

فهل نسمى كل ذلك خيراً ...؟!

قد يوجد مَن يفعل الخير لمجرد إطاعة وصية الله ، دون أن يصل قلبه إلى محبة تلك الوصية ! كمَن لا يرتكب الزنا والفحشاء ، لمجرد وصية الله التى تقول : « لا تزن » ، دون أن تكون فى قلبه محبة العفة والطهارة ...! وفى ذلك قال القديس جيروم : [يوجد أشخاص عفيفون وطاهرون بأجسادهم ، بينما أن نفوسهم زانية !!] .

ومثال ذلك أيضاً ، الذى يتصدق على الفقراء لمجرد إطاعة وصية الله ، و يكون كمَن يدفع ضريبة أو جزية !! دون أن تدخل محبة الفقراء إلى قلبه ..!

http://coptic-treasures.com

كل هؤلاء اهتموا بالخير فى شكلياته ، وليس فى روحه .. !

والخير ليس شكليات ، وليس لوناً من المظاهر الزائفة . إنما هو روح وقلب... ولذلك اهتم الله بحالة القلب ، أكثر من ظاهر العمل . وهكذا قال : «يا ابنى اعطنى قلبك» ...

من أجل هذا ، لكى نحكم على العمل بأنه خير ، يجب أولاً أن نفحص دوافعه وأسبابه وأهدافه. والدوافع هى التى تظهر لنا خيرية العمل من عدمها ... فقد يوبخك اثنان : أحدهما بدافع الحب ، والآخر بدافع الإهانة . وقد يشتركان فى نفس كلمات التوبيخ . ولكن عمل أحدهما يكون خيراً ، وعمل الآخر يكون شراً ... وقد يشترك اثنان فى تنظيم سياسى وطنى ، أحدهما من أجل حب الوطن والتفانى فى خدمته ، والآخر من أجل حب الظهور أو حب المناصب ... الهم إذن فى الدافع والنية ...

والخير ليس عملاً مفرداً أو طارئاً ، إنما هو حياة ...

فالشخص الرحيم ليس هو الذى أحياناً يرحم ، أو الذى ظهرت رحمته فى حادث معين ... إنما الرحيم هو الذى تتصف حياته كلها بالرحمة . تظهر الرحمة فى كل أعماله وفى كل معاملاته ، وفى أقواله ، وفى مشاعره ، حتى فى الوقت الذى لا يباشر فيه عمل الرحمة ...

الخير هو اقتناع داخلى بحياة القداسة ، مع إرادة مثابرة مجاهدة فى عمل الخير وتنفيذه .. هو حب صادق للفضيلة ، مع حياة فاضلة .

الخير هو شهوة فى القلب لعمل الصلاح تعبر عن ذاتها وعن وجودها بأعمال صالحة وليس هو مجرد روتين آلى للعمل الصالح ..!

هو - حسب رأى القديسين - استبدال شهوة بشهوة ... ترك شهوة المادة ، من أجل التعلق بشهوة الروح ... والتخلص من محبة الذات ، من فرط التعلق بمحبة الآخرين ...

ما لم تصل إلى محبة الخير ، والتعلق به ، والحماس لأجله ، والجهاد لتحقيقه ، فأنت ماتزال فى درجة المبتدئين ، لم تصل بعد إلى الغاية ، مهما عملت أعمالاً صالحة ..!

http://coptic-treasures.com

والذى يحب الخير، يحب أن جميع الناس يعملون الخير...

لا تنافس فى الخير...

فالتنافس قد توجد فيه ناحية من الذاتية...

أما محب الخير، فإنه يفرح حتى لو رأى جميع الناس يفوقونه فى عمل الخير، و يكون بذلك سعيداً... المهم عنده أن يرى الخير، وليس المهم بواسطة مَن! به أو بغيره...

لذلك فعمل الخير بعيد عن الحسد وعن الغيرة...

والإنسان الخيّر يقيم فى حياته تناسقاً بين فضائله، فلا تكون واحدة على حساب الأخر..

خدمته مثلاً للمجتمع، لا تطغى على اهتمامه بأسرته. ونشاطه لا يطغى على أمانته لعمله. بل ان صلاته وعبادته، لا يصح أن تفقده الأمانة تجاه باقى مسئولياته..

إن الفضيلة التى تفقدك فضيلة أخرى، ليست هى فضيلة كاملة أو خيّرة... إنما الفضائل تتعاون معاً... بل تتداخل فى بعضها البعض..

فهكذا نتعلم من الله نفسه تبارك اسمه: فعدل الله مثلاً لا يمكن أن يتعارض مع رحمته، بل لا ينفصل عنها. عدل الله عدل رحيم، ورحمة الله رحمة عادلة. عدل الله مملوء رحمة، ورحمة الله مملوءة عدلاً. ولا نستطيع أن نفصل بينهما. وعندما نقول عدل الله ورحمة الله، فليس من جهة الفصل نتكلم، وإنما من جهة التفاصيل، لكى تفهم عقولنا القاصرة عن إدراك اللاهوتيات...

والخير ليس هو سلبية، بل إيجابية:

ليس هو سلبية تهدف إلى البعد عن الشر، إنما هو إيجابية فى عمل الصلاح ومحبته.

فالإنسان الخيّر ليس هو فقط الذى لا يؤذى غيره، بل هو بالحرى الإنسان الذى يبذل ذاته عن غيره... ليس فقط الإنسان الذى لا يرتكب خطية، إنما بالحرى الذى يعمل براً...

والإنسان الخيّر هو الذى يصنع الخير مع الجميع، حتى مع الذين يختلفون معه جنساً أو لوناً أو لغة أو مذهباً أو عقيدة..

http://coptic-treasures.com

إنه كالينبوع الحلو الصافى ، يشرب منه الكل ... وكالشجرة الوارفة يستظل تحتها الكل . إن الينبوع والشجرة لا يسألان أحداً : ما هو جنسك ؟ أو ما هو لونك ؟ أو ما هو مذهبك ؟!

الخير يعطى دون أن يتفرس فى وجه مَن يعطيه ويحب دون أن يحلل دم مَن يحبه ...

http://coptic-treasures.com

تكلمنا فى المقالات السابقة عن : الخير، والعمل الخير، والإنسان الخير...

وبقى أن نكمل هذا الموضوع بكلمة بسيطة عن الخير وعن وسائله أيضاً ...

كلمة أخرى عن

الخير ؟

قلنا من قبل إن الخير لا بد أن يكون خيراً فى ذاته ، وخيراً فى هدفه ، وخيراً فى وسيلته ، وبقدر الإمكان يكون خيراً فى نتيجته .

ونحن نتكلم عن الخير بمعناه النسبى فقط ، أقصد بالنسبة إلى ما نستطيع إدراكه من الخير، وما نستطيع عمله من الخير... وأقصد الخير بقدر فهمنا البشرى له ، وبقدر طاقتنا المحدودة فى ممارسته ...

لذلك فالإنسان الخير يعمل باستمرار على توسيع طاقاته فى عمل الخير. ولا يرضى عن الخير الذى يعمله من أجل اتجاهه نحو خير أكبر... وفى اشتياقه نحو اللامحدود ، يشعر فى أعماقه بأن هناك آفاقاً فى الخير أبعد بكثير وأوسع مما يفهمه حالياً .

وربما بعدما نخلع هذا الجسد المادى ، وندخل فى عالم الروح ... سننظر إلى ما عملناه قبلاً من خير، فنذوب خجلاً ! ونتوارى منه حياء !! فكم بالأولى ما قد ارتكبناه من شر...؟!

لهذا فإن مستوى الخير عند القديسين أعلى من مستواه عند البشر العاديين . ومستوى الخير عند الملائكة أعلى بكثير من مستواه عند البشر أجمعين . أما مستواه عند الله ، فإنه غير محدود ، وغير مدرك ... حقاً ما أعجب قول الكتاب عن الله : « إن السماء ليست طاهرة قدامه ، وإلى ملائكته ينسب حماقة » ...

http://coptic-treasures.com

إن الله هو صاحب الخير المطلق ، وأعمالنا تعتبر خيراً بقدر ما تدخل فيها يد الله ... وبقدر ما نسلّم إرادتنا لمشيئة الله الصالحة ، فيعمل الله فينا ، و يعمل الله بنا ، و يعمل الله معنا ... ونكون نحن مجرد أدوات طيعة فى يد الله الكلية الحكمة والكلية القداسة ...

و بقدر بعدنا عن الله ، نبعد عن الخير...

يبعد الإنسان عن الخير ، عندما يعلن استقلاله عن الله ...

عندما يرفض أن يقود الله حياته . وعندما تبدأ إرادته البشرية أن تعمل منفردة !

أما القديسون فإنهم يحيون حياة التسليم ، التسليم الكامل لعمل الله فيهم ... هؤلاء لا تكون عليهم دينونة فى اليوم الأخير... وكأن كلاً منهم يقول للرب فى دالة الحب : [على أى شىء تحاكمنى يارب ؟ وأنا من ذاتى لم أعمل شيئاً ! كل شىء بك كان ، وبغيرك لم يكن شىء مما كان... فيك كانت حياتى ، وفى يدك استسلمت إرادتى ...] .

حياة الخير إذن ، هى حياة التسليم .

هى الحياة التى فيها يسلّم الإنسان نفسه لله كل فكره ، وكل مشاعره ، وكل إرادته ، وكل عمله ... فإذا ما فكّر ، يكون له فكر الله ، وإذا عمل ، فإنما يعمل ما يريده الله ، أو ما يعمله الله بواسطته ...

فهل أعمالك أيها القارىء العزيز هى أعمال الله ؟ أم هى أعمال بشرية قابلة للزلل والخطأ والسقوط ؟...

والخير كالماء ... دائماً يمشى ، ولا يقف ...

وإن وقف ، أصابه الركود !

لذلك فالخير باستمرار يمتد إلى قدام ، و ينمو و يكبر . و باستمرار يتحرك نحو الناس ونحو الله... لا يتوقف و ينتظر مجىء الناس إليه يخطبون وده ، بل هو يتجه إليهم ، و يذهب إليهم دون أن يطلبوه ... ولأنه الخير، لذلك فيه عنصر المبادرة ..

http://coptic-treasures.com

والخير فيه لذة . حتى إن كان مملوءاً آلاماً ، فآلامه حلوة ، تريح القلب ، ويجد الإنسان فيها عزاءاً ...

* * *

والخير لا يشترك اطلاقاً مع الشر ، لأنه أية شركة للنور مع الظلمة .

لذلك نحن لا نوافق إطلاقاً على المبدأ المكيافيللى القائل بان الغاية تبرر الواسطة ، أى أن الغاية الخيرة يمكن أن تكون تبريراً للواسطة الخاطئة ...!

إن وسيلة الخير ينبغى أن تكون خيراً مثله . والخير لا يقبل وسيلة شريرة توصل إليه . إذ كيف يجتمع الضدان معاً ؟!

فالذى يلجأ إلى الكذب لينقذ إنساناً ، والذى يلجأ إلى القسوة والعنف لكى ينشر بهما الحق أو ما يظنه حقاً ، والذى يلجأ إلى الرشوة لكى يحقق لنفسه خيراً ، والذى يلجأ إلى الاجهاض لكى ينقذ فتاة ... ، كل أولئك قد استخدموا وسائل شريرة لكى يصلوا بها إلى الخير أو ما يظنونه خيراً ...

ولكن لعل البعض يسأل :

ماذا نفعل إذن ، إن كنا مضطرين إلى هذه الوسائل ؟!

أقول إن هذه كلها وسائل سهلة وسريعة ، يلجأ إليها الإنسان بطريقة تلقائية دون أن يحاول أن يبذل مجهوداً للوصول إلى الخير ، ودون أن يبذل تضحية ، ودون أن يتعب أو يحتمل ...

فالكذب مثلاً حل سريع وسهل . أما الإنسان الحكيم الخيّر ، فإنه يفكر ويجهد ذهنه بعيداً عن هذه الوسيلة ، و يقيناً أنه سيصل إلى وسيلة أخرى تريح ضميره ... كذلك العنف والقسوة ، كلاهما حل سهل يلجأ إليه إنسان لا يريد أن يتعب فى الوصول إلى حل آخر وديع ولطيف ...

إن الخير يريدك أن تتعب لأجله ...

ولا تلجأ إلى الحلول السهلة ، السريعة الخاطئة ...

http://coptic-treasures.com

وبمقدار تعبك من أجل الخير ، تكون مكافأتك عند الله . و بهذا المقياس تقاس خيريتك ... إن الحل السهل أو التصرف السهل ، يستطيعه كل إنسان . أما الذى يكد و يتعب للوصول إلى تصرف سليم ، فإنه يدل على سلامة ضميره وحبه للخير..

قال السيد المسيح له المجد : « ادخلوا من الباب الضيق . لأنه واسع هو الباب ، ورحب هو الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك ، وكثيرون يدخلون منه . ما أضيق الباب واكرب الطريق ، الذى يؤدى إلى الحياة . وقليلون هم الذين يجدونه ... » .

إذن ينبغى أن تتعب من أجل الخير ، و ينبغى أن تجد لذة فى هذا التعب .

عليك أيضاً أن تفحص الوسائل التى تستخدمها للوصول إلى الخير ، وتتأكد من أنها وسائل خيرة .. لأن هناك طرقاً رديئة قد يسلكها البعض من أجل محبتهم للخير!! وكما قال البعض : [كم من جرائم قد ارتكبت باسم الفضيلة] !!

إن الشيطان عندما يفشل فى اقناعك بطريق الشر ، ويجدك مصراً على طريق الخير، حينئذ يقول لك : "خدنى معك" ..!

وهكذا قد تسير فى طريق الخير ، و يسير معك الشيطان ، و يرشدك فى الطريق ، و يوجهك ، و يقدم لك الوسائل ، والخطط ، والحلول ... !!

والشيطان حينما يفقد السيطرة على الهدف أو على نوع العمل ، قد يقنع بالسيطرة على الوسيلة .

أما أنت أيها القارىء المبارك ، فلا تترك للشيطان شيئاً فيك ، ولا تدخله معك فى خططك ومشروعاتك الخيّرة ، ولا تجعله يكسب أية جولة فى صراعه معك ...

واطلب من الله أن تكون نتائج عملك خيراً أيضاً .

لا شك انك قد لا تستطيع أحياناً أن تتحكم فى النتائج . وقد تتدخل فى الأمر عوامل شريرة خارجة عن إرادتك ، محاولة أن تفسد نتائج مجهوداتك الخيّرة ...

إنك كما تجاهد بكل قوتك فى أن تعمل الخير ، كذلك فإن الشيطان يعمل بكل قوته لكيما يعرقل عملك .. ولكنّ لا تيأس ، فإن الله موجود ..

لهذا قلت إن العمل الخيّر ، تكون نتائجه ـ **بقدر الإمكان** ـ خيراً أيضاً ...

http://coptic-treasures.com

مقياس الطول .. ومقياس العمق

أود فى هذا المقال أن أحدثكم عن روحانية العبادة لكى يختبر الإنسان مقدار درجته فى العبادة ، هناك مقياسان :

أما مقياس الطول ، فهو مقدار الوقت الذى يقضيه الإنسان مع الله فى كافة نواحى العبادة : فى الصلاة ، فى التأمل ، فى الترتيل ، فى الألحان ، فى التسبيح ، فى القراءات الروحية ...

فى مقياس الطول لا أريد أن احدثك عن الدرجات الروحية العالية لئلا تقع فى اليأس . لا أريد أن أحدثك عن حياة الصلاة الدائمة فربما لا يكون هذا هو طريقك فى الحياة ، وقد تكون هذه من درجات النساك العابدين . ولا أريد أن أحدثك عن تدريب صلب العقل الذى سار فيه القديس مقاريوس الاسكندرى ، ولا عن حالات اختطاف الفكر ، ولا عن تدريب خلط كل عمل من أعمال الحياة بالصلاة .

ولا أريد أن أحدثك عن أمثال القديس أرسانيوس الذى كان يقف للصلاة وقت الغروب والشمس وراءه ، و يظل واقفاً مصلياً حتى تطلع الشمس أمامه مقضياً الليل كله فى الصلاة ...

ولكنى أحب أن أسألك كم تعطى الله من وقتك ؟ وكم تعطى لأمور العالم من وقتك ؟ وهل هى نسبة عادلة ؟ وهل الوقت الذى تقضيه فى العبادة كاف لغذاء روحك ؟

http://coptic-treasures.com

هناك إنسان يزعم أنه يصلى كل يوم . وقد يكون مجموع صلواته فى اليوم بضع دقائق ، لا تشبع روحه ولا تشعره بالصلة بالله ...

وقد يقف إنسان ليصلى ، وسرعان ما يشعر بالسأم والملل ، ويحب أن ينهى صلاته بأية طريقة كما لو كان عبئاً ثقيلاً عليه !! ذلك لأن قلبه جاف من الداخل ليست فيه محبة الله ...

وقد يعتذر إنسان عن الصلاة بضيق الوقت . وقد يكون السبب الحقيقى هو عدم وجود الرغبة وليس عدم وجود الوقت !

إن أكبر رد على مثل هذا الإنسان هو داود النبى الذى كان ملكاً ، وقائداً للجيش ، ورب أسرة كبيرة جداً ، ومع ذلك نراه يصلى « عشية وباكر ووقت الظهر » . ويقول لله : « سبع مرات فى النهار سبحتك على احكام عدلك » .. ولا يكتفى بالنهار بل يقول أيضاً : « فى نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك » . ولا يكتفى بالليل بل يقول : « كنت أذكرك على فراشى ، وفى أوقات الاسحار كنت أرتل لك » . ولا ينهض فقط فى وقت السحر بل يقول للرب : « سبقت عيناى وقت السحر ، لأتلو فى جميع أقوالك » ومع كل صلوات الليل هذه ، نراه يقول فى شوق إلى الله : « يا الله أنت إلهى ، إليك أبكر ، عطشت نفسى إليك » ... وفى النهار يقول : « محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى » ...

إنه مثل جميل ، لرجل من رجال الصلاة ، كان مشغولاً جداً ، وعليه مسئوليات وأعباء لا حصر لها ، ومع ذلك نجح فى عمل الصلاة ، وضرب مثالاً رائعاً لمقياس الطول فى العبادة ... فلا يصح إذن أن نعتذر بالمشغوليات . لأننا إن آمنا بأهمية أمر من الأمور ، نستطيع أن نوجد له وقتاً . المشكلة إذن فى عدم وجود الرغبة ..

وقد يكون السبب هو عدم الاحساس بالاحتياج إلى الصلاة ... مثال ذلك الشاب الذى زارنى فى إحدى المرات وقال لى : "إن شاء الله ستبدأ امتحاناتى يوم السبت ، فأرجوك أن تذكرنى فى صلواتك يوم الأربعاء لأنها مادة صعبة" . فقلت له : [وماذا عن امتحان يوم السبت ؟] . فأجاب : "إنها مادة سهلة لا تحتاج إلى صلاة" ...! نعم ، ما أكثر تلك الأمور التى نراها لا تحتاج إلى صلاة ... إنها الثقة

http://coptic-treasures.com

بالنفس أو بالظروف المحيطة أو ببعض المعونات البشرية، التى تجعلنا نشعر أننا لسنا فى حاجة إلى صلاة... كأننا ننتظر الوقت الذى يسمح فيه الله بضيقة أو مشكلة، وحينئذ فقط نصلى !!

أعود إلى سؤالى: ماذا عن مقياس الطول فى حياتك الروحية؟ وهل أنت من جهة وقت العبادة فى نمو مستمر؟

أما عن مقياس العمق فهو حالة القلب أثناء العبادة ... فقد يصلى إنسان وقتاً طويلاً ولكن فى غير عمق.. بصلوات سطحية أو بصلوات من العقل فقط أو من الشفتين وليست من القلب، أو بصلوات من عقل غير مركز يطيش أثناء الصلاة فى العالميات..!

إن مقياس العمق فى الصلاة يجعلنا نسأل الأسئلة الآتية:

هل صلواتك بحرارة؟ وهل هى بإيمان؟، وهل هى بحب وشوق نحو الله؟ وهل صلواتك فى انسحاق وتواضع قلب؟ وهل هى فى خشوع وهيبة شديدة لله؟ وهل هى فى تركيز وجمع للعقل؟ وهل صلواتك تشعر فيها بالصلة الحقيقية أمام الله كما لو كان قائماً أمامك تخاطبه وجهاً لوجه؟ وهل هى من القلب حقاً أم من الشفتين فقط؟ وهل تتكلم فيها مع الله بدالة وثقة؟ وهل أنت تجد لذة فى صلاتك وتتمنى لو استمرت معك كل الوقت أم أنك تؤدى فرضاً لابد أن تؤديه؟ وهل صلواتك من أجل نفسك فقط أم من أجل الآخرين أيضاً؟ وهل صلاتك هى لله وحده أم فيها عناصر الرياء ومحبة الظهور أمام الناس...

إنها أسئلة كثيرة إن أجبت عليها تعرف مقدار العمق الذى لك فى عبادتك...

ويدخل فى مقياس العمق نوعية الصلاة أيضاً ... فهل صلاتك مجرد طلب، أم فيها أيضاً عنصر الشكر، وعنصر التسبيح والتمجيد، وعنصر التوبة والانسحاق والاعتراف بالخطية...

ثم أيضاً هل صلاتك بفهم؟

هل تعنى كل كلمة تقولها لله؟ وهل تفهم معانى الألفاظ التى ترددها وبخاصة فى الصلوات المحفوظة وفى المزامير؟

http://coptic-treasures.com

يبقى بعد كل هذا أن نسأل : هل أنت حقاً تصلى ؟ هل ينطبق عليك مقياس العمق ؟ هل تشعر أن صلواتك قد وصلت فعلاً إلى الله ؟ وهل تشعر انه قبلها ، وانه استجاب بها وأنه منحك عزاء قلبياً وسلاماً فى داخلك ، فخرجت من صلاتك فرحاً مطمئناً واثقاً أن الله سيعمل معك عملاً ...

وهل فى صلاتك تشعر انك حفنة من تراب تحدث خالق الكون العظيم ، فتقف أمامه فى خشوع تشكره على الشرف الذى منحك إياه إذ سمح لك أن تقف أمامه ...

إن قست نفسك بهذين المقياسين ، مقياس الطول ومقياس العمق ، ووجدت نفسك لم تبدأ بعد حياة العبادة ، فنصيحتى لك أن تبدأ من الآن ، وأن تحسن حالتك يوماً بعد يوم ... ولا تنهمك فى أمور العالم الانهماك الذى يجفف قلبك و يقسى روحك ويجعلك تنظر إلى أمور العبادة بعدم اكتراث !!

أيها القارىء العزيز ، ضع أمامك على الدوام قول السيد المسيح : « **ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟!** أو ماذا يعطى عوضاً عن نفسه » ؟! ... اهتم إذن بنفسك واحرص على أبديتك . ولتكن لك علاقة عميقة بالله . وان وجدت صعوبة فى بداية الطريق فلا تيأس . وان حاربك الشيطان فقاومه ، واثبت فى عبادتك . وسيأتى الوقت الذى تذوق فيه جمال الحياة الروحية فتجدها شهية وممتعة ، فتأسف على الأيام التى ضاعت عبثاً من حياتك . ابدأ فى عمل الصلاة ، وفى صلاتك اذكر ضعفى . وليكن الرب معك يقويك على عمل مرضاته ..

http://coptic-treasures.com

بين السرعة والبطء

هل من الصالح الاسراع فى العمل أم البطء فيه؟ انه سؤال حير الكثيرين، وتعددت فيه الآراء، وتناقضت، وبقى الناس حائرين بين السرعة والبطء.

نسمع أحد الشعراء يشجع على التروى والتأنى فيقول :

قد يدرك التأنى بعض حاجته   وقد يكون مع المستجعل الزلل

ولكن هذا الكلام لا يعجب شاعراً آخر فيرد عليه قائلاً :

وكم أضر ببعض الناس بطؤهمو   وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا

وهكذا بقى الأمر كما هو، موضع حيرة : هل نبت فى الأمر بسرعة، أم نتأنى ونتروى ... فما هو الحل؟

لا شك أن كثيراً من الأمور لا يمكن أن تقبل التباطؤ. وقد يكون البطء فيها مجالاً للخطر والخطأ، ويحسن فيها الحزم والبت السريع.

فمثلاً لا يصح أن يتباطأ إنسان فى التوبة. لأن كل وقت يمر عليه فى الخطيئة، إنما يزيد عبوديته لها. ويحول الخطأ إلى عادة، وقد يحول العادة إلى طبيعة. وربما يحاول الخاطىء أن ينحل من رباطات شهواته فلا يستطيع، أو قد يستطيع أخيراً بمرارة وصعوبة وبعد جهاد مميت. كل ذلك لأنه أبطأ فى توبته وفى معالجة أخطائه ...

وبالمثل فإن التباطؤ فى معالجة الأمراض الجسدانية، قد ينقلها إلى مراحل من

http://coptic-treasures.com

الخطر يصعب فيها علاجها أو يستحيل.. وبالمثل فى مسائل التربية، **حيث يؤدى** التباطؤ فى تقويم الطفل أو الشاب إلى إفساده.

وقد صدق الشاعر الذى قال :

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يلين - إذا قومته - الخشب

هناك إذن مواقف تحتاج إلى بت سريع وإلى حزم قبل أن تتطور إلى أسوأ، وقبل أن يسبق السيف العزل.. **وربما تحتاج إلى تصرف قد يكون مؤلماً، ولكنه يكون لازماً وحاسماً بقدر ما يكون سريعاً وحازماً.** وهناك علاقات ضارة وصداقات معثرة ينبغى أن تؤخذ من أولها بحزم. كذلك قد توجد إتجاهات فكرية مخربة، أو اتجاهات سلوكية منحرفة، إن لم يسرع المجتمع فى التخلص منها، فقد تقاسى هذا التباطؤ أجيال وأجيال..

ومع هذا الفضل الذى ننسبه إلى السرعة، هناك مواقف كثيرة تحتاج إلى التباطؤ وإلى التأنى والتروى، ويتلفها الاسراع أو الاندفاع.

فمتى يصلح التباطؤ إذن ؟

من النصائح الجميلة فى الكتاب المقدس، قول الوحى الإلهى : «ليكن كل إنسان مسرعاً إلى الاستماع، مبطئاً فى التكلم، مبطئاً فى الغضب. لأن غضب الإنسان لا يصنع برّ الله».

نعم إن التباطؤ فى الغضب فضيلة عظمى. فإن الذى يسرع به الغضب، قد يصل إلى الاندفاع، وفى إندفاعه قد يفقد سيطرته على أعصابه، أو قد يفقد سيطرته على تفكيره.. وهكذا يخطىء..

لذلك حاذر من أن تأخذ قراراً حاسماً فى ساعة غضبك، لئلا بذلك تضر نفسك أو تضر غيرك.. إنما تحاول أن تهدىء نفسك أولاً.. ثم بعد ذلك فكر وأنت فى حالة هدوء.. أو تباطأ فى الموضوع وأجل الأمر إلى أن تهدأ. إن القرارات السريعة التى تصدر فى حالة غضب، تكون فى غالبيتها عرضة للخطأ.

قد يُطلّق إنسان امرأته، إن أسرع باتخاذ قرار فى ساعة غضب.. وقد يفقد أعز أصدقائه، وقد يتخلى عن عمله، بل قد يهاجر أيضاً من وطنه، كل ذلك لأنه أخذ

http://coptic-treasures.com

قراراً سريعاً فى ساعة إنفعال ، ولم يتباطأ ، ولم يؤجل الموضوع إلى أن يهدأ .

بل قد ينتحر إنسان ويفقد حياته ، لأنه أسرع باتخاذ قرار فى ساعة انفعال ، أو قد يسرع بقتل غيره ، أو يأخذ ثأره ، كل ذلك فى ساعة إنفعال .. لذلك أمر الله أن يكون الشخص منا بطيئاً فى غضبه .. لا يغضب بسرعة . وإن غضب لا يقرر شيئاً بسرعة ..

وإن قرر إنسان شيئاً بسرعة ، فلا مانع من أن يرجع فى قراره . وقد يظن البعض انه ليس من الرجولة ولا من حسن السمعة أن يرجع إنسان فى كلمته ، أو يلغى قراراً له . ولكن **الحكمة** تقتضى منا أن يراجع الإنسان نفسه فيما اتخذه من قرارات سريعة ..

اترك القيادة لعقلك ، لا لأعصابك . إن أسرعت فى التصرف فى حالة إنفعال ، تكون مقاداً بأعصابك لا بعقلك ، وفى هذا خطر عليك وعلى غيرك .

وحاذر من أن تكتب رسالة إلى غيرك فى ساعة غضب ، لأنك ستندم على ما كتبته ويؤخذ وثيقة ضدك .. وإن لم تستطع أن تقاوم نفسك ، وكتبت مثل هذه الرسالة ، فنصيحتى لك أن تتباطأ فى إرسالها . اتركها فى مكتبك يومين أو ثلاثة ، ثم عاود قراءتها مرة أخرى ، فستجد أنها تحتاج إلى تعديل وتغيير أو تجد أنك استغنيت عنها ولم تعد تتحمس لإرسالها ..

إن التباطؤ فى الغضب قد يصرفه .. الغضب يحركه شيطان سريع الحركة ، والتباطؤ يشل حركته و يوقفه عن العمل .. فإن دخلت فى نقاش أدى بك إلى الغضب ، أجله لوقت آخر ، حتى تهدأ ..

كذلك البطء فى التكلم نافع ومفيد .. استمع كثيراً قبل أن تتكلم .. حاول أن تفهم غيرك .. حاول أن تلم بالموضوع إلماماً كاملاً . اعط نفسك بهذا البطء فرصة للتفكير، وفرصة للفهم . وفرصة لمعرفة ما ينبغى أن تقوله . وهكذا يكون كلامك عن دراسة ، وبرؤية وهدوء ، فلا تخطىء .

وإن تكلمت فليكن كلماتك هادئة ... لا تسرع فى حديثك ، بل تخير ألفاظك . زنها جيداً بميزان دقيق قبل أن تلفظها . وإن وجدت عبارة منها غير مناسبة ،

http://coptic-treasures.com

ابدلها بغيرها .. وهذا لا يتأتى لك إلاَّ إذا كنت مبطئاً فى التكلم ، غير مندفع فيه .

إن الكلمة الخاطئة التى تقولها ، لا تستطيع أن تسترجعها مرة أخرى . لقد خرجت من فمك وانتهى الأمر ، ووصلت إلى آذان سامعيك ، وتسجلت ، وحسبت عليك .. ربما يمكنك أن تعتذر عنها ، أو تندم عليها ، ولكن لا يمكنك أن تسترجعها داخل فمك . **لقد حسبت عليك** .. لذلك تباطأ فى كلامك ..

إن العربة المندفعة بسرعة هائلة ، لا تستطيع أن تقف فجأة ، إن تغير اتجاهها وهى مسرعة ، كذلك المسرع فى كلامه : ربما لا يمكنه أن يغير أسلوبه فجأة إن أحس بخطئه ، وقد لا يحس .. أما الذى يبطىء فى كلامه و يتخير ألفاظه ، فما أسهل عليه أن يعدّل أسلوبه إن شعر بخطأ ..

الهادىء فى كلامه يناقش الفكرة قبل أن يتكلم بها . أما المسرع فى حديثه ، فيقول الفكرة ثم يناقشها بعد ذلك ، وقد تكون خاطئة ! وقد يضطر إلى أن يسحب فكرته ، أو يتنازل عنها ، أو يعترف بخطئها . وقد يصيبه حرج فى كل ذلك بسبب إسراعه ..

وكما ينفع البطء فى الغضب والكلام ، كذلك ينفع البطء فى إصدار الاحكام . لا تحكم بسرعة . ولا تصدق كل ما يُقال . ولا تقبل وشاية أو دسيسة ضد إنسان . **إنما فكر كثيراً ،** ولا تصدر حكمك إلاَّ بعد مزيد من التروى والفحص ، فهناك أخبار ربما تصلك من أصدقائك أو من أبنائك أو من مرؤوسيك أو من رؤسائك ، أو من مصادر غير موثوق بها ، **لذلك تباطأ فى حكمك.**

ومما ينفع فيه البطء أيضاً ، البطء فى الرغبات ... إذا أتتك رغبة ، فلا تسرع فى تنفيذها ، لأنك لا تضمن فربما تكون من الشيطان . وإن كانت رغبة مقدسة ، فلا تلهبك السرعة إليها . لأن السرعة تورث القلق واللهفة والاضطراب وتوقعك فى تعب الانتظار ..

اطرح رغبتك بين يدى الله ، وهو سيختار لها الموعد المناسب بحكمته الإلهية . وفى بطء رغباتك تعلّم الصبر . وانتظر الرب ... **وإذا طلبت من أحد شيئاً ، فلا تلح عليه الحاحاً أن ينفذ بسرعة ، لئلا يتضايق منك ، ولئلا تكون هناك عوائق أمامه تحتاج إلى وقت وأنت لا تدرى .**

http://coptic-treasures.com

أنصاف الحقائق

هناك موضوع معين يتسبب فى كثير من المشاكل، وفى كثير من الخصومات ويخلق جواً من النزاع، ومن سوء التفاهم بين الناس ..

ليتنا نحلل هذا الموضوع لكى نصل إلى حله ..

إنه مشكلة أنصاف الحقائق.

إن الحقيقية هى كل متكامل، وليست جزءاً قائماً بذاته. وأنصاف الحقائق ليست كلها حقائق ...

وكثير من الناس يشوهون الحقيقة، ولا يقدمون لها صورة سليمة، بسبب استخدامهم أنصاف الحقائق ...

وفى كل قضية تقدم إلى المحاكم، كل طرف من المتنازعين يقدم نصفاً للحقيقة، يصورها تصويراً خاصاً، ويقدم الطرف الآخر النصف الآخر، ولا تظهر الحقيقة إلاَّ باجتماع النصفين معاً.

لأن الذى يقدم نصف الحقيقة لا يكون منصفاً. فتقديم الأنصاف ليس فيه إنصاف ...

قد تشرح إساءة الناس إليك، دون أن تشرح الأسباب التى دفعتهم إلى هذه الاساءة، وتكون فى حديثك عن إساءاتهم، مهما كان كلامك صادقاً، مجرد معبر عن

http://coptic-treasures.com

نصف الحقيقة. وعندما نجلس إليهم ونناقشهم فى إتهاماتك لهم، و يدافعون عن أنفسهم، حينئذ يقدمون لنا النصف الآخر من الحقيقة الذى لم تذكره أنت.

ليتك كلما تتهم إنساناً، تنصفه أيضاً بأن تذكر النصف الآخر من الحقيقة الذى يدافع به عن نفسه، لكى تعطى صورة سليمة عن الموقف... دافع عنه، قبل أن يدافع هو عن نفسه. ففى دفاعك نوع من النبل ومن محبة الحق، ومن الإنصاف... وليتك تدافع عنه أمام نفسك قبل أن تتهمه، فربما هذا الدفاع يمنعك من الاتهام...

كثيراً ما سمعت زوجات وأزواجاً فى مشاكل عائلية قد تتطور إلى طلاق، فأسمع أنصاف حقائق. استمع إلى الزوجة فتشعرنى بأن زوجها وحش كاسر، قاسى الطبع سيىء المعاملة، واستمع إلى الزوج، فيشعرنى بأن الزوجة مستهترة أو مقصرة فى واجباتها. و يندر أن يذكر واحد من الطرفين حجج الآخر..

وبسبب أنصاف الحقائق قد يحدث سوء تفاهم بين الناس. وسنضرب لذلك أمثلة... قد يشكو ابن من ان والده لا يقوم باحتياجاته ولوازمه ولا يصرف عليه، وربما يكون النصف الآخر من الحقيقة أن الأب لا يملك ما يصرفه على ابنه، ولو كان يملك ما قصر فى حقه... وقد تشكو سيدة من أن صديقة لها اخلفت موعدها معها. وربما يكون النصف الآخر من الحقيقة أن هذه الصديقة معذورة، وقد منعها زوجها من الذهاب وهى لا تستطيع أن تصرح بهذا لأسباب خاصة...

وقد نحكم على طالب بأنه فاشل فى دراسته، ونقسو عليه فى حكمنا. وربما يكون النصف الآخر من الحقيقة ان ظروفه العائلية قاسية جداً، لا تساعده اطلاقاً على الاستذكار، أو أن ظروفه المالية لا تساعده على شراء الكتب اللازمة...

ليتنا نكون مترفقين فى أحكامنا، فنحن قد نرى الخطأ فقط، دون أن نرى أسبابه ودوافعه وظروفه...

لقد خُلق الإنسان مُحباً للخير بطبيعته، وما الشر إلاَّ دخيل عليه. وللشر فى حياة الإنسان أسباب كثيرة، ربما يكون بعضها خارجاً عن إرادته. وقد يرجع بعضها إلى عوامل بيئية، أو وراثية، أو لأمور ضاغطة يعلمها الله وحده. لذلك كونوا مترفقين بالناس...

http://coptic-treasures.com

وقد يكسر إنسان قانوناً من القوانين، أو نظاماً من الأنظمة. وربما يكون هذا الكسر هو نصف الحقيقة، ويكون النصف الآخر هو خطأ في هذا القانون أو في هذا النظام يحتاج إلى تعديل... لهذا كانت كثير من الدول تعدل في انظمتها، وتطور في قوانينها. لأن المشرعين ليسوا آلهة. ولهذا أيضاً كان المنصفون ينظرون دائماً إلى روح القانون وليس إلى حرفيته.

إن الذين يتمسكون بحرفية القوانين وينسون روحها، لا يكونون عادلين في أحكامهم... ومن أمثال هؤلاء الذين يتمسكون بحرفية وصية من وصايا الله، دون أن يدخلوا إلى روح الدين وعمقه، ودون أن يتكشفوا الأسباب والأهداف التي من أجلها وضع الله تلك الوصية...

والذين يتمسكون بأنصاف الحقائق، إما يفعلون ذلك عن جهل أو عن عمد وعن معرفة... فإن فعلوا ذلك عن معرفة يكونون مدانين، لأنهم أخفوا الحقيقة، وقد يكون وراء الاخفاء خطأ آخر أبشع... ولذلك تطلب غالبية المحاكم من الشهود أن يقولوا: «الحق، كل الحق، ولا شيء غير الحق» فعبارة: «كل الحق» عبارة لها وزنها ولها عمقها...

ومشكلة أنصاف الحقائق بدأ النقاد المنصفون يتحاشونها.. كان الناقد قديماً يكتفي بذكر العيوب والنقائص فقط. وهكذا كان ينقص بدلاً من أن ينقد... أما الناقد المنصف فهو الذي يحلل الأمر تحليلاً، ويذكر ما فيه من مزايا ومن عيوب، من نواحي قوة ونواحي ضعف. وقد يرجع كل شيء إلى أسبابه، في صدق، وفي إنصاف...

وقد يقع الإنسان في أنصاف الحقائق نتيجة لكراهية أو تعصب أو تحيز أو ميل خاص... مثال ذلك مدير عمل لا يذكر موظفاً معيناً إلا بالاساءة والتجريح، ولا يذكر موظفاً آخر إلا بالتقدير والاطراء، ويكون لكل منهما ما له وما عليه.. ولكنها أنصاف الحقائق...

وقد تدخل مشكلة أنصاف الحقائق في الرئاسة والإدارة... فلا يتذكر المدير أو الرئيس إلا سلطته فقط، وكيف انه صاحب حق في أن يأمر وينهى، ويعين ويعزل، كأنه متسلط في مصائر الناس. وفي ذلك ينسى النصف الآخر من الحقيقة، وهي ان

http://coptic-treasures.com

الرئاسة محدودة بقانون و بضمير وبمسئولية أمام الله ، و بواجبات من الرعاية الحقة ينبغى أن يحيط بها كل رئيس عمل جميع مَن تشملهم إدارته ومسئوليته ...

وقد تدخل مشكلة أنصاف الحقائق فى حياتنا الروحية ، حينما نعمل لدنيانا فقط ، وننسى حياتنا الأخرى ... حينما نهتم بكيف نعيش ههنا على الأرض ، وننسى النصف الآخر من الحقيقة وهو أننا سنقدم عن حياتنا هذه حساباً أمام الله فى اليوم الآخير، يوم لا يجدى عذر، ولا ينفع شفيع ...

وقد تدخل أنصاف الحقائق هذه فى مسائل التربية... فيظن الأب المسكين أن كل واجبه هو مستقبل أبدى من حيث تعليمه وترظيفه ، وأكله وشربه وصحته وكافة احتياجاته المادية . و ينسى النصف الآخر من الحقيقة وهو واجبه حيال أبدية هذا الابن وروحياته وعلاقته بالله ...

ومشكلة أنصاف الحقائق هذه قد تدخل فى الحياة الاجتماعية ، وتسبب متاعب كثيرة وبخاصة فى الفهم الخاطىء للحرية. فقد يقول إنسان: "أنا حر. أفعل ما أشاء". و ينسى النصف الآخر من الحقيقة وهو أن عليه أن يمارس حريته بشرط ألاَّ يتعدى على حريات غيره من الناس ...

فالذى يقيم حفلة ويرفع مكبرات الصوت فيها كما يشاء ، وينتشر هذا الصوت العالى فى كل مكان، مدعياً بأنه حر. إنما ينسى حريات الآخرين ، وكيف أن هذا الصوت قد يزعج نائماً فى فراشه ، أو مريضاً محتاجاً إلى الراحة ، أو تلميذاً يذاكر دروسه ، أو قوماً يتحدثون فى موضوع ما ، أو أى شخص يريد أن يستغل وقته فى شىء آخر غير سماع هذا الحفل...

ليتنا ننظر إلى الحقائق كاملة ... ولا نكتفى بأنصاف الحقائق ، لئلا تضللنا ...

http://coptic-treasures.com

رحلة الخبر إلى أذنيك

ليس كل ما يصل إلى أذنيك هو صدق خالص. فلا تتحمس بسرعة لكل ما تسمع، ولا لكل ما تقرأ.. ولا تتخذ إجراء سريعاً لمجرد كلام سمعته عن إنسان ما... بل تحقق أولاً، واعرف أن كثيراً من الكلام يقطع رحلة طويلة قبل أن يصل إلى أذنيك...

صدق الحكيم الذى قال: [لا تصدق كل ما يُقال]..

اجعل عقلك رقيباً على اذنيك، وافحص كل ما تسمعه، ولا تصدق كل خبر، لئلا تعطى مجالاً للوشاة وللكاذبين، ولمَن يخترعون القصص، ولمَن يصنعون الأخبار، ولمَن يدسون، ويشهدون شهادة زور... كل هؤلاء يبحثون عن إنسان سهل يصدقهم... وكما قال عنهم أمير الشعراء أحمد شوقى:

قد صادفوا أذنا صغواء لينة   فاسمعوها الذى لم يسمعوا أحدا

وما أجمل قوله أيضاً عن مثل هذا الذى يصدق كل ما يسمعه، ويقبل الأكاذيب كأنها صدق:

أثـر البهتـان فيـه   وانطـوى الزور عليـه
يـا لـه مـن ببغـاء   عقـلـه فى اذنيـه

نعم، لو كنا نعيش فى عالم مثالى، أو فى وسط الملائكة لامكنك حينئذ أن تصدق كل ما تسمعه، ولا تتعب ذاتك فى فحص الأحاديث. ولكن مادام الكذب

http://coptic-treasures.com

موجوداً فى العالم، ومادمنا نعيش فى مجتمع توجد فيه ألوان من الناس يختلفون فى نوع اخلاقياتهم وفى مدى تمسكهم بالفضيلة، **فإن الحكمة تقتضى إذن أن ندقق ونحقق قبل أن نصدق**... واضعين أمامنا قول الكتاب: «افحصوا كل شيء، وتمسكوا بالحسن».

ولكن قد يقول إنسان: " إننى اصدق هذا الخبر على الرغم من غرابته، لأننى سمعته من إنسان صادق لا يمكن أن يكذب ".

نعم، قد يكون هذا الإنسان صادقاً، ولكنه سمع الخبر من مصدر غير صادق، أو من مصدر غير دقيق.. قد يكون الشخص الذى حدثك أو الذى حدث مَن حدثك، جاهلاً بحقيقة الأمر، أو على غير معرفة وثيقة أكيدة بما يقول. **أو قد يكون** مبالغاً أو مازحاً، أو مداعباً. أو ربما يكون قد سمع خطأ، **أو أن المصادر التى استقى** منها معلوماته غير سليمة.

أو ربما يكون المصدر الأصلى الذى أخذ عنه هذا وذاك، غير خالص النية فيما يقول، وله أسباب شخصية تدفعه إلى طمس الحقائق، أو إلى الدس والايقاع بين الناس. أو قد يكون من النوع الذى يتباهى بمعرفة الأخبار والسبق إلى نشرها بين الناس، فيقول ما يصل إليه بسرعة دون تحقيق... وقد يكون محباً للاستطلاع يلقى بالخبر ليعرف ما مدى وقعه على الناس..

ولكن ربما يقول القائل إننى لم أسمع هذا الخبر من واحد فقط، وإنما من كثيرين مما يجزم بصحته...!! فنقول إنه لا يصح أن نحكم عن طريق السماع دون تحقيق، حتى لو سمعنا من كثيرين. فما أكثر ما يكون كلام الكثيرين على وفرة عددهم، له مصدر واحد مخطىء... وما أكثر ما تتفق جماعة كبيرة من الناس على كذب مشترك، مثلما فعل أخوة يوسف حينما بلّغوا أباهم خبراً كاذباً عن ابنه قائلين إن وحشاً قد افترسه... وما أكثر شهود الزور الذين سمعنا عنهم من الكتاب المقدس ومن كتب التاريخ..

إن وصية « لا تشهد بالزور » موجهة إلى السامع، كما هى موجهة إلى المتكلم. فالذى يسمع الكذب و يقبله، إنما يشجع الكاذب على الاستمرار فى كذبه،

http://coptic-treasures.com

ويحيط نفسه بأناس أشرار غير مخلصين.

وكذلك فإن ناقل الكذب يعتبر كاذباً، وشريكاً فى الكذب ونشره.. ويدخل تحت هذا العنوان أيضاً مروجو الاشاعات الكاذبة. وقد يقع فى هذا الأمر أيضاً «البسطاء» الذين يصدقون كل ما يسمعونه، ويتكلمون عنه كأنه حقيقة، دون فحص أو تأكيد. وفى الحقيقة لا نستطيع أن نسمى مثل هذه بساطة. لأن البساطة فى جوهرها هى عدم التعقيد، ونحن نؤمن بالبساطة الحكيمة... فقد قال السيد المسيح: «كونوا بسطاء... وحكماء...».

اثنان يشتركان فى خطية الكذب: ناقل الكذب، وقابل الكذب، وكلاهما يشتركان مع الكاذب الأصلى فى نشر كذبه...

وإن كانت بعض المشاكل تُسبب أحياناً عن نقل الكلام، فإن أخف الناس ضرراً مَن ينقلون الكلام كما هو، كما يفعل جهاز تسجيل الصوت، الأمين المخلص، الذى لا يزيد على ما قيل شيئاً، ولا ينقص، ويعطى صورة دقيقة عما قيل..

إنما بعض الناس يأخذون الكلام، ويضيفون عليه رأيهم الخاص واستنتاجاتهم وأغراضهم، ويقدمون كل ذلك **لإنسان آخر، كأنه الكلام المباشر الذى نطق به مَن قد سمعوه...!**

انظروا ماء النيل وقت الفيضان وهو بنى اللون من كثرة ما حمل من طمى... هذا الماء كان فى أصله ماء صافياً رائقاً عندما نزل مطراً من السماء على جبال الحبشة. ولكنه طوال رحلته فى الطريق ظل ينحت الطمى من الصخور ويختلط بالطين حتى وصل إليك بهذه الصورة... هكذا كثير من الأخبار التى تصل إليك مشبعة بالطين، ربما كانت رائقة صافية فى أولها. والفرق بينهما وبين ماء النيل أن طينه مفيد للأرض، أما الطين الذى خلطه الناس فى نقلهم للاحاديث، فإنه ضار وخطر ومفسد للعلاقات...

كثير من الأخبار عندما تصل إليك تكون أخباراً مختلفة جداً عن الواقع. وسأضرب لذلك مثلاً:

يقول شخص لآخر: " ألم تسمع؟ لقد حدث كذا مع فلان ". فيجيبه: "لا

http://coptic-treasures.com

شك أنه قد غضب لذلك جداً ". فيقول له: " طبعاً ". و يوّصل الخبر لثالث و يقول له: " فلان غضب جداً لأنه حدث معه كذا ". فيجيبه: " من غير المعقول ان يكون قد غضب فقط، لابد أنه سينتقم ". و يصل الخبر لرابع انه سينتقم، فيجيب: " حسب معرفتى لطبعه لابد انه سيدبر دسيسة لمَن أغضبه ". و يصل الخبر لخامس فيقول: " ربما يرسل خطاباً لمصلحته يتهمه باتهامات ". فيجيبه سادس: " لا يبعد أن يقول عنه إنه شيوعى مثلاً ". و يصل الخبر لسابع فيسرع إلى الشخص المقصود و يقول له: " خذ حذرك، فلان أرسل خطاباً إلى مصلحتك يقول عنك إنك شيوعى " !!!

يحدث كل هذا، وربما يكون الشخص الذى يتكلمون عنه قد تضايق فى وقتها واستطاع أن يصرف غضبه، و يسامح مَن أغضبه !! أو قد يكون قد أخذ الأمر ببساطة ولم يتأثر، وانتهى الأمر... وقد يحدث سوء تفاهم بسبب الخطاب المزعوم المرسل إلى المصلحة !! الذى لا وجود له على الاطلاق.

لذلك أكرر وأقول: [لا تصدق كل ما يقال] .. ولا تكن سماعاً، بل افحص ودقق وحقق... على الأقل فى الأمور الهامة الخطيرة...

http://coptic-treasures.com

القلب الكبير

لا يكن قلبك ضيقاً ...

يتأثر بسرعة ، و يتضايق بسرعة ، و يندفع
للانتقام لنفسه...

بل كن كبيراً فى قلبك ، وواسع الصدر،
تحتضن فى داخلك جميع المسيئين إليك .

وحينئذ ستشعر بالسلام الداخلى ، وتدرك
بركة القلب الكبير...

القلب الكبير لا تتعبه إساءات الناس ، ولا يقابل الإساءة بالإساءة . إنما تذوب جميع الإساءات فى خضم محبته وفى لجة إحتماله .

القلب الكبير أقوى من الشر .

الخير الذى فيه أقوى من الشر الذى يحاربه . ودائماً ينتصر الخير الذى فيه ...

ومهما أسيء إليه ، يبقى كما هو ، دائم المحبة للناس ، مهما صدر منهم ... وفى إساءاتهم ، نراه لا ينتقم منهم ، بل يعطف عليهم ...

إنهم مساكين ، قد غلبهم الشر الذى يحاربهم ... وهم يحتاجون إلى مَن يأخذ بيدهم ، و ينقذهم من هذا الشر الذى خضعوا له فى إساءاتهم لغيرهم ...

وإذا انتقم الإنسان لنفسه ، يكون الشر قد غلبه ، وأخضعه لحب الانتقام ، وأضاع من قلبه التسامح والاحتمال والمودة ..

ومحبتنا للناس توضع تحت الاختبار عندما نتعرض لإساءاتهم .

كل إنسان يستطيع أن يحب مَن يحبه ، ويحترم مَن يحترمه ، و يكرم مَن يكرمه ...

http://coptic-treasures.com

كل هذا سهل لا يحتاج إلى مجهود . ولكن نبيل هو الإنسان الذى يحب مَن يكرهه ، ويكرم مَن يسىء إليه . وفى هذا يقول السيد المسيح فى عظته المشهورة على الجبل : « لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ... وإن سلّمتم على اخوتكم فقط فأى فضل تصنعون ؟! » أليس الخطاة أيضاً يفعلون هكذا ؟! « وأما أنا فأقول لكم : **احبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم** » .

هنا ولا شك تكون المحبة بلا مقابل . أى أن الإنسان المحب لم يأخذ محبة فى مقابل محبته . لم يأخذ أجراً على الأرض ، ولذلك يكون كل أجره محفوظاً فى السماء ، إذ لم يستوف منه شيئاً على الأرض .

إن القلب الكبير ليس تاجراً : يعطى حباً لمَن يقدم له حباً ، أو يعمل خيراً مع الذى ينقده شكراً ...

إنه يصنع الخير مع الكل ، بلا مقابل . يعمل الخير لأن هذه هى طبيعته . لذلك فإنه يعمل الخير مع مَن يستحقه ، ومع الذى لا يستحقه أيضاً ، مع المحب ومع المسىء ، مع الصديق ومع العدو... مثل الشمس التى تشرق على الأبرار والأشرار، ومثل السماء التى تمطر على الصالحين والطالحين... بل انه درس نتعلمه من الله نفسه ، الذى يحسن إلينا حتى ونحن فى عمق خطايانا .

إن القلب الكبير لا يعامل الناس كما يعاملونه ، وإنما يعاملهم حسب سموه وحسب نبله . وهو لا يتغير فى سموه وفى نبله طبقاً لتصرفات الناس حياله . إنه لا يرد الإساءة بالإساءة لأنه لا يحب أن تصدر عنه إساءة لأحد ، ولو فى مجال الرد .

أما الضعاف فإنهم يتأثرون بتصرفات الناس ، ويتغيرون تبعاً لها .

وهنا نسأل :

ما معنى رد الإساءة بالإساءة ، ومقابلة الخطأ بالخطأ ؟

لقد أجاب القديسون على هذا الأمر ، وشرحوه فى جملة نقاط لا مانع من أن نوضحها فى هذا المقال :

١ - **هناك إنسان يرد الإساءة بمثلها :** التصرف بتصرف ، والشتيمة بشتيمة ،

http://coptic-treasures.com

والإهانة بإهانة... وقد يرى فى نفسه أنه تصرف بعدل ولم يخطىء، لأن هناك مَن يردون الإساءة بأشد منها، و يعللون ضمائرهم بأنهم فى موقف المعتدى عليه.

٢ - وهناك نوع آخر لا يرد الإساءة بمثلها، فلا يقابل إهانة بإهانة، أو شتيمة بشتيمة. **ولكن الرد يظهر فى ملامحه:** فى نظرة احتقار، أو تقليب الشفتين بازدراء، أو فى صمت قاتل... إلخ.

٣ - وقد يوجد مَن لا يفعل شيئاً من هذا، **ولكن رده يكون داخلياً، فى قلبه وفى نيته.** و يتصور فى قلبه أشياء تحمل معنى رد الإساءة بمثلها أو أشد، ولكنها مخفاة...

٤ - و يوجد إنسان قد لا ينفعل فى الداخل من الإساءة. **ولكنه إذا سمع أن المسىء أصابه مكروه يفرح بالخبر،** و يرى أن الله قد انتقم له. و بهذا لا يكون قلبه نقياً تجاه مَن أساء إليه...

٥ - وقد يوجد إنسان لا تحاربه هذه المشاعر، بل قد يحزن حقاً إذا حدث مكروه لمَن أساء إليه، ولكنه فى نفس الوقت **لا يفرح إذا حدث خير لهذا المسىء.** إذ يرى انه لا يستحق الخير، فيتضايق لأخباره المفرحة، و بهذا لا يكون قلبه نقياً من جهته...

٦ - إنسان آخر قد لا يفعل شيئاً من هذا كله. ولكن **إساءة المسىء تظل عالقة بذهنه. إذّ لم ينسها، لأنه لم يغفرها بعد**... هذا أيضاً لم يصل بعد إلى الحب الكامل الذى ينسى الإساءة ولا يعود يذكرها. لأن المحبة - كما يقول الكتاب - تستر كثرة من الخطايا.

٧ - وقد يوجد شخص ينسى الإساءة، و يستمر فى نسيانها زمناً. **ثم تحدث إساءة جديدة من نفس الشخص، فيرجع و يتذكر القديمة أيضاً التى كان قد نسيها، و يتضايق بسبب الاثنتين معاً**... و بهذا يدل على أنه لم يغفر الإساءة القديمة، وانها لم تمت فى قلبه، وإنما كانت نائمة ثم استيقظت. مثل جرح ربما يكون قد اندمل، ولكن موضعه مايزال حساساً، أقل لمسة تؤذيه...

إن هناك طريقتين لمواجهة الإساءة: طريقة التصرف، وطريقة الترسيب.

أما طريقة التصرف فهى الطريقةالروحية، التى بها يصرف الإنسان الغضب

http://coptic-treasures.com

بطريقة سليمة : بإنكار الذات ، بلوم النفس ، بعامل المحبة ، بالبساطة ...

أما طريقة الترسيب فتشبه دواء فى زجاجة يبدو صافياً من فوق ، بينما هو مترسب فى أسفلها ، وأقل رجة تعكر السائل كله الذى يملأ الزجاجة . إن هذا الصفاء الظاهرى من فوق ، ليس هو صفاءاً حقيقياً طاهراً ...

ولكن لعل إنسان يقول : كيف يمكننا الوصول إلى تلك الدرجات الروحية من صفاء القلب تجاه الإساءة ؟ ألا تبدو غير ممكنة ؟...

إنها قد تبدو صعبة أو غير ممكنة بالنسبة إلى القلوب الضيقة التى لم تمتلىء بالمحبة بعد ولا بالاتضاع . أما القلب الكبير فإنه يتسع لكل شىء . انه لا يفكر فى ذاته ولا فى كرامته ، بل يفكر فى راحة الآخرين وفى علاجهم . لذلك لا تهزه الإساءات ...

كذلك هو يعلم أن المسىء ، إنما - قبل كل شىء - يسىء إلى ذاته لا إلى غيره . إن الذى يقترف الاساءة إنما يسىء إلى مستواه الروحى وإلى نقاوة قلبه وإلى أبديته . ولكنه لا يستطيع أن يضر غيره ضرراً حقيقياً ... فالذى يشتم غيره مثلاً ، إنما يبرهن على نوع اخلاقياته هو، دون أن يضر المشتوم فى شىء . يبقى المشتوم فى مستواه العالى ، لا تقلل الشتيمة من جوهر معدنه الكريم ، بل هى تدل على خطأ مقترفها ... والذى أصابته هذه الإهانة ، إن كان قلبه نقياً كبيراً ، فإنه لا يتأثر: **يأخذ موقف المتفرج الذى يرثى لضعفات غيره ، لا موقف المنفعل .**

وهكذا تتضح أمامنا درجات روحية لمواجهة الإساءة وهى :

احتمال الإساءة ، ومغفرة الإساءة ، ونسيان الإساءة ، ومحبتك لمَن أساء إليك .

ففى أية درجة من هذه كلها تضع نفسك أيها القارىء العزيز ؟

درب نفسك على هذه الدرجات الروحية ، لكى تصل إلى نقاوة القلب . وإن لم تستطع أن تصل إلى أية واحدة منها ، **فعلى الأقل لا تبدأ بالإساءة إلى غيرك ...**

خذ موقف المظلوم لا موقف الظالم . واعلم أن الله سيقف إلى جانبك . وأما الظالم فانه يعادى الله قبل أن يعاديك ، وسيقف الله ضده .

وعندما يقف الله معك ضد ظالميك ، قل له كما قال السيد المسيح : « يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » ...

http://coptic-treasures.com

القلب الحنون

تحدثنا فى مقالين سابقين :

عن القلب الكبير المملوء بالتسامح والعفو...

وعن القلب الهادىء المملوء بالسلام والطمأنينة .

ونريد اليوم أن نعرض للقلب الحنون... المملوء بالشفقة والحب...

القلب القاسى ، باستمرار يحطم ويهدم . وقسوته لا تشفق ، ولا ترحم . إنه نار تأكل كل شىء ، حتى نفسها...

أما القلب الحنون العطوف ، فإنه يفيض رقة وإشفاقاً على كل أحد ، حتى الذين لا يستحقون ، وحتى على أعدائه...

وحنو الإنسان على غيره ، قد يشمل الكائنات جميعاً ... فيحنو على العصفور المسكين ، وعلى الفراشة الهائمة ، وعلى الزهرة الذابلة... بل قد يحنو على الوحش المفترس ، مثل ذلك القديس الذى رأى أسداً يئن من شوكة فى قدمه ، فانحنى وأراحه منها...

وقد يكون الحنو فى نواح مادية أو جسدية ، وقد يكون فى نواح نفسية أو روحية .

وخلاصة الأمر أن القلب المملوء حناناً ، يفيض بهذا الحنان فى كل المجالات ، وعلى الكل . فيشفق على الفقير المحتاج ، وعلى المريض المتألم ، كما يشفق على اليائس والمتعب نفسياً ، وعلى الساقط فى الخطية المحتاج إلى مَن يأخذ بيده ليقيمه .

http://coptic-treasures.com

والحنان ليس مجرد عاطفة فى القلب ، وإنما تتحول فيه العاطفة إلى عمل جاد من أجل إراحة الغير.

إن الحنان النظرى هو حنان قاصر ، حنان ناقص ، يحتاج إلى إثبات وجوده بالعمل. ولهذا قال القديس يوحنا الحبيب : «يا اخوتى، لا نحب بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق» .

إن القلب الحنون يمكنه أن يكسب الناس . أما القلب القاسى فينفرهم .

الناس يحتاجون إلى مَن يعطف عليهم ، إلى مَن يأخذ بيدهم ، إلى مَن يشجع الضعيف، و يقيم الساقط، و يفهم ظروف الناس واحتياجاتهم. وتكون له روح الخدمة فيخدم الكل، و يساعد الكل، و يعين الكل، ولا يحتقر ضعفات أحد... كما قال الكتاب: «**شددوا الركب المخلعة، وقوموا الأيدى المسترخية**»...

وقيل عن السيد المسيح إنه كان : «**لا يخاصم ولا يصيح**، ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفىء»... هذه الفتيلة المدخنة ربما تهب ريح فتشعلها، فتضىء مرة أخرى...

وكان حنوه يشمل الروح والجسد معاً. وهكذا قيل عنه فى الإنجيل المقدس إنه: «كان يجول يصنع خيراً»... كان يشفق على الارواح الساقطة فيقيمها بالتوبة، و يشفق على الأجساد المريضة فيشفيها... «يطوف المدن والقرى: يكرز ببشارة الملكوت، و يشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب».

أحضروا إليه مرة امرأة خاطئة قد ضبطت فى ذات الفعل، وانتظروا منه أن يحكم برجمها حسبما تقضى الشريعة. أما هو فقال لهم: «مَن كان منكم بلا خطية، فليرمها بأول حجر». وانصرف المطالبون برجمها لأنهم أيضاً خطاة. واطمأنت المرأة. فنظر إليها السيد المسيح وقال لها: «أين الذين دانوكِ؟». فأجابت: «لم يبق منهم أحد». فقال لها: «وأنا أيضاً لا أدينكِ.. إذهبى بسلام. ولا تعودى تخطئى أيضاً»... هذا هو الحنو الذى يكسب القلب، و يقوده إلى التوبة... فليتنا نحنو على الخطاة، لكى نكسبهم إلى الله.

إن الله يحنو علينا ، حتى ونحن فى عمق خطايانا . ومن دلائل حنوه أنه يستر ولا يكشف.

http://coptic-treasures.com

كم من أناس قد غطسوا فى الشر حتى غطاهم ، ومايزال الله يستر ... لم يكشفهم ، ولم يفضحهم ، ولم يعلن خطاياهم للناس ... لأنهم ربما لو انكشفوا لضاعوا ، وانسد أمامهم الطريق إلى التوبة بعد فقدهم لثقة الناس .

إن القلب الحنون يستر خطايا الناس . لا يتحدث عنها ، ولا يشهر بها ، ولا يقسو فى الحكم عليها ... بل قد يجد لهم عذرا ، أو يخفف من المسئولية الواقعة عليهم ... وإن قابلهم لا يفقد توقيره لهم ، معطياً إياهم فرصة للرجوع ... بل قد يضحى بنفسه من أجلهم ، و يتحمل المسئولية عوضاً عنهم إن استطاع .

قال القديس يوحنا ذهبى الفم : [إن لم تستطع أن تمنع مَن يتكلم على أخيه بالسوء ، فعلى الأقل لا تتكلم أنت] .

[وإن لم تستطع أن تحمل خطايا الناس ، وتنسبها إلى نفسك لكى تبررهم ، فعلى الأقل لا تستذنبهم وتنشر خطاياهم] .

إن القلب الحنون يعيش فى مشاعر الناس . يتصور نفسه فى مكانهم ، ولا يجرح أحداً . و يبرهن على نقاوة قلبه بعطفه على الكل ...

وهو يعرف أن الطبيعة البشرية حافلة بالضعفات ...

وان أقوى الناس ربما تكون فى حياته ثغرات ...

وقد يسقط ، إن اشتدت الحرب عليه ، وإن تخلت عنه النعمة الحافظة ...

لذلك ينظر إلى الناس فى حنو ، فى قيامهم وفى سقوطهم أيضاً .

كان القديس يوحنا القصير إن سمع عن أحد أنه سقط ، يبكى . فإن سُئل فى ذلك يقول : [معنى هذا أن الشيطان نشيط . وإن كان قد أسقط أخى اليوم ، فقد يسقطنى أنا غداً ...] . وهكذا - فى اتضاع - لم يضع هذا القديس نفسه فى مرتبة أسمى من غيره . وبكل حنو نظر إلى سقطة غيره ، ونسبها إلى عمل الشيطان ، لا إلى فساد طبع ذلك الأخ .

وبهذا كان أقوى المرشدين الروحيين هم الذين يفهمون النفس البشرية ، ولا يقسون عليها فى ضعفاتها .

http://coptic-treasures.com

إن القلب الحنون لا يعامل الناس بالعدل المطلق مجرداً ، إنما يخلط بعدله كثيراً من الرحمة . ولا يجعل عدله عدلاً جافاً حرفياً يطبق فيه النصوص ، بل أيضاً يقدر الظروف المحيطة ، سواء كانت عوامل نفسية أو وراثية أو تربوية أو عوامل اجتماعية .

أما الذى يصب اللعنات على كل مخطىء ، دون أن يقدر ظروفه أو يفحص حاله ، فإنه قلب لا يرحم ...

القلب الحنون لا يحكم على أحد بسرعة ... بل يعطى كل أحد فرصة للدفاع عن نفسه ، ولتوضيح موقفه ...

هو أيضاً لا يكثر اللوم والتوبيخ ، وإن وبخ ، فإنما يكون ذلك بعطف وليس بقسوة . وقد يقدم لتوبيخه بكلمة تقدير أو كلمة حب ، حتى يكون التوبيخ مقبولاً . وإن احتاج الأمر منه إلى حزم وشدة وعنف ، فقد يفعل ذلك مضطراً . ولكنه فى مناسبة أخرى يصلح الموقف ، و يعالج بالحنو نفسية ذلك المخطىء .

والقلب الحنون لا يخجل أحداً ، ولا يحرج أحداً . وقد يشير إلى الخطأ من بعيد ، بألفاظ هادئة . وربما بطريق غير مباشر ،وربما فى السر وليس فى أسماع الناس .

أما الذى يرجم الناس بالحجارة ، فعليه أن يتروى ، لئلا يكون بيته من زجاج . وليعلم أن كل الفضائل بدون المحبة ليست شيئاً . والمحبة تتأنى وتترفق . والحكمة هى أن نكسب الناس بالحنو، وأن لا نخسر الناس بالقسوة .

http://coptic-treasures.com

الذين يعطون

تكلمنا عن القلب الحنون، الذى يعطف على الناس روحياً. هذا القلب يعطف أيضاً مادياً، وباستمرار يعطى...

وهذه هى شيمة الذين يعطون :

يعطون بحب ، وبسخاء، وباستمرار، وبدون أن يطلب منهم... وبراحة داخلية ...

ما أجمل أن نشرك الله معنا فى أموالنا ، فيكون له نصيب منها .

وما نعطيه لله ، لا نحسبه جزءاً ضائعاً من مالنا ، وإنما نحسبه بركة كبيرة لباقى المال، إذ أن الله عندما يأخذ من مالنا شيئاً ، إنما يبارك هذا المال ، فيزيد أكثر من الأصل بما لا يقاس. ويصبح مالاً مباركاً ، ويعوضه الرب أضعافاً من جهات أخرى. ونجد أننا بهذا العطاء قد زدنا ولم ننقص.

وفى الواقع اننا لا نعطى الله من مالنا ، بل من ماله هو ...

إن كل شىء نملكه هو ملك لله ، ونحن مجرد أمناء عليه ، مجرد وكلاء لله فى هذا المال الذى استودعنا إياه لكى ننفقه فى الخير. حقاً ، ما الذى نملكه نحن ؟! نحن الذين قيل عنا إننا : « عراة جئنا إلى الأرض ، وعراة نعود إلى هناك » ...

الله هو المالك الحقيقى لكل ما نملك . وما أصدق داود النبى حينما قال لله : « من يدك أعطيناك » ...

http://coptic-treasures.com

وقد ظهر العطاء فى التوراة فى وصية العشور ، حيث طلب الله من الناس أن يدفعوا العشور من كل ما يملكون .

ولكن العشور لم تكن كل شيء فى العطاء ... كانت هناك أيضاً : البكور، والنذور، والتقدمات ، والقرابين ، والنوافل ...

وفى البكور كان الإنسان يعطى أوائل ثمار الأرض . أول حصيده يقدمه للرب ، لكى يبارك الرب كل الحصاد . كما كان يقدم المولود البكر من كل حيواناته ، حتى ابنه هو، البكر، كان يقدمه لخدمة الرب ، كما قال الرب فى التوراة : « قدّس لى كل بكر، كل فاتح رحم » .

ما أجمل أن نعطى البكور للرب : المرتب الأول الذى يتقاضاه الإنسان، والعلاوة الأولى، وأول إيراد خاص يصل إليه. فمثلاً أجرة أول عملية يجريها الجراح يقدمها للرب ، وأول كشف للطبيب ، وأول درس خصوصى للمدرس ، وأول عمل يد للصانع . وهكذا يبارك الله كل أعمالنا لأنها بدأت به ، وقدمنا أولى ثمارها له ...

بل ان بكور الوقت نقدمها لله أيضاً ... الساعة الأولى فى النهار نقدمها لله . أول كلمة ننطق بها كل يوم تكون كلمة موجهة إلى الله . أول عمل نعمله فى يومنا يكون مختصاً بالله وعبادته . وبهذا يبارك الله يومنا ويقدسه وبنفس الوضع : أول يوم فى عامنا يكون يوماً للرب .

وفى عطائنا لا يصح أن نحاسب الله بالدقة الحرفية . فإن دفعنا العشور مثلاً ، لا يجوز أن نقول لله : « كفاك هذا ! ليس لك شيء عندنا بعد » !!

كلا ، إن العشور والبكور هى الحد الأدنى للعطاء ، أما العطاء فلا حدود له ، إنه يختص بالقلب الحنون العطوف الذى يعطى عن حب مهما كانت قيمة العطاء ، دون أن يحاسب الله على ما يعطيه ...

ولقد جاءت المسيحية فرفعت العطاء عن مستوى العشور. وقالت : « مَن له ثوبان ، فليعطِ الذى ليس له » . ولم تكتف بهذا ، بل تطورت إلى العطاء بغير حدود .

http://coptic-treasures.com

فقال السيد المسيح فى الإنجيل المقدس : « مَن سألك ، فاعطه . ومَن طلب منك ، فلا ترده » .

وهكذا لم يقتصر العطاء على العشور والبكور والنذور ... بل بقى باب الكمال مفتوحاً لما هو أكثر من هذا ... فعندما جاء الشاب الغنى إلى السيد المسيح يستلهم منه معرفة الطريق الذى يوصله إلى الحياة الأبدية ، أجابه بتلك الوصية الجميلة الخالدة : **« إن أردت أن تكون كاملاً ، إذهب بع كل مالك واعطه للفقراء ، وتعالَ إتبعنى » .**

هذه الوصية ، نفذها القديس أنطونيوس حرفياً ، وبها أسس الحياة الرهبانية . فباع ثلاثمائة فدان كان يملكها من أجود الأطيان ، ووزع ثمنها على الفقراء ، وعاش حياة الزهد والنسك ...

وسير القديسين تحكى لنا صوراً عجيبة للعطاء ...

فالقديس الأنبا سرابيون الناسك ، رأى رجلاً فقيراً ، وإذ لم يكن له ما يعطيه ، باع انجيله وأعطاه ثمنه . وفى ذلك الوقت لم تكن هناك مطبوعات ، وكان الإنجيل مخطوطة ثمينة ... ثم مرّ بعد ذلك فرأى فقيراً آخر . وإذ لم يكن له شئ آخر يعطيه ، خلق ثوبه وأعطاه له . ورجع إلى منسكه بلا ثوب ولا إنجيل . فلما سأله تلميذه : [أين إنجيلك يا أبى ؟] ، أجابه : [كان هذا الإنجيل يقول لى : « اذهب بع كل مالك واعطه للفقراء » فبعته لأنه كان كل ما لى] ... فقال له تلميذه : [وأين ثوبك ؟] ، فأجابه : [خلعته ليلبسه المسيح ...] .

ولعل أجمل ما فى العطاء ، أن يعطى الإنسان من أعوازه ...

لأن الشخص الذى يعطى من أعوازه ، إنما يفضل غيره على نفسه ، بل يتعب لأجل إراحة غيره . وهذا هو منتهى الحب الذى فيه تزول الذاتية ، وتحل فى موضعها محبة الغير ... وقد مدح السيد المسيح الأرملة الفقيرة التى وضعت شيئاً ضئيلاً فى الصندوق . وقال إنها أعطت أكثر من الجميع ، لأنها أعطت وهى محتاجة ...

إن القلب الحنون دائماً يعطى . وإن لم يجد شيئاً يعطيه ، فإنه يعطى كلمة حب ...

http://coptic-treasures.com

وقد يوجد شخص يقترض لكى يعطى غيره . أو يطلب من الآخرين لكى يعطى للمحتاجين . ومن هنا نشأت الجمعيات الخيرية التى تجمع لتعطى...

ولكن أهم عطاء هو القلب ذاته . إعط الناس من قلبك ، قبل أن تعطيهم من جيبك .

إعطهم عاطفة ، قبل أن تعطيهم مالاً . اظهر لهم أنك شخص محب ، وليس مجرد شخص محسن... والعطاء الخالى من الحب يكون عملاً اجتماعياً أو إدارياً ، ولكنه ليس عملاً روحياً .

والقلب الحنون عندما يعطى ، إنما يشعر أنه يتعامل مع الله ذاته :

من مال الله ، يعطى عيال الله ، دون أن يشعر بأى فضل من جهته .

هذا القلب العطوف يعطى للكل ...

لا يقتصر على الأصدقاء والأحباء ، وذوى القربى ، وبنى جنسه ، وأخوته فى الدين والمذهب . كلا ، بل يضع أمام عينيه أن يريح الكل ، ويشفق على الكل . وبهذا يكسب الكل ، ويحيط نفسه بجو من المحبة ...

والقلب العطوف يعطى دون أن يُطلب منه .

هو دائم التفكير فى احتياجات الناس ، دون أن يقولوا له .

يريد أن يريح الناس ، يريد أن يسعدهم . وإن وضعت فى يده مسئولية ، يستخدمها لراحة الناس . وإن وهبه الله ثروة أو سلطة أو أية إمكانية ، فإنه يستخدمها لأجل راحة الناس ، كل الناس .

والقلب العطوف لا يستطيع أن ينام ، إن سمع أن هناك شخصاً متعباً أو محتاجاً . بل يظل يفكر ماذا يفعل لأجله .

لذلك كان من المستحيل على مثل هذا القلب أن يؤذى أحداً ، لأنه يتألم لآلام الناس ، أكثر من تألمهم هم ...

http://coptic-treasures.com

القلب المطمئن

المملوء بالسلام

ما أعمق القلب الذى يعيش فى سلام داخلى، يملك الهدوء عليه، وكل ضيقات العالم لا تزعجه.

إنه يستمد سلامه من الداخل، وليس من الظروف المحيطة ... لذلك فإن الظروف الخارجية لا تزعزعه.

حقاً، إنه ليس من صالح الإنسان أن يجعل سلامه يتوقف على سبب خارجى: إن اضطربت الأحوال يضطرب معها، وإن هدأت يهدأ. سبب خارجى يجعله يثور، وسبب يجعله يفرح، وسبب يبكيه، وسبب يبهجه... مثل هذا يكون كما قال الشاعر:

كريشة فى مهب الريح طائرة لا تستقر على حال من القلق

الرجل القوى يجعل الظروف الخارجية تخضع لمشاعره، تخضع لقوة قلبه، ولحسن تحكمه فى انفعالاته. ولا يخضع هو لها ...

إن حدث حادث معين، يتناوله فى هدوء، يفحصه بفكر مستقر، ويبحث عن حل له. كل ذلك وهو متمالك لأعصابه، متحكم فى انفعالاته. وبهذا ينتصر، ويكون أقوى من الأحداث، ويحتفظ بسلامه الداخلى... وذلك لأن قلبه كان أكبر من الظروف وأقوى من الأحداث... وما أصدق ذلك الكاتب الروحى الذى قال:

إن قطعة من الطين يمكنها أن تعكر كوباً من الماء، ولكنها لا تستطيع أن تعكر المحيط ...

يأخذها المحيط، ويفرشها فى أعماقه، ويقدم لك ماءً رائقاً ...

http://coptic-treasures.com

لذلك أيها القارىء العزيز ، كن واسع القلب . كن رحب الصدر . كن عميقاً فى داخلك . قل لنفسك فى ثقة : أنا لا يمكن أن أضعف ، ولا يمكن أن تنهار معنو ياتى أمام الأخبار المثيرة ، أو أمام الضغطات الخارجية . مهما حدث ، فسأحاول أنى لا أنفعل . وإن انفعلت ، سأحاول أن أسيطر على انفعالا تى ... سأبتسم للضيقات ، وسأكون بشوشاً أمام الضغطات ... وسأثبت - بقوة من الله - حتى تمر العاصفة .

لا تفكر فى الضيقة التى أصابتك ، ولا فى أضرارها ومتاعبها . بل فكر فى إيجاد حل لها .

إن كثرة التفكير فى الضيقة هى التى تحطم الأعصاب وتتعب النفس أحياناً يكون التفكير فى الضيقة أشد إيلاماً للنفس من الضيقة ذاتها . إن التفكير فى الضيقات هو الذى يجلب الأحزان والأمراض والهم والفكر . وهو لون من الانهيار ومن الخضوع تحت ثقل الضيقة .

أما التفكير فى إيجاد حل للضيقة ، فهو الذى يعمل على سلام النفس وراحتها .

ضع فى نفسك أن كل ضيقة لها حل ...

وكل ضيقة لها مدى زمنى معين تنتهى فيه .

فكر فى حل لضيقتك ، فإن وصلت إليه تستريح . وإن لم تصل ، ثق بروح الإيمان أن الله عنده حلول كثيرة ، وأنه - تبارك اسمه - قادر أن يعينك وأن يحل جميع إشكالا تك . وتذكر ضيقات سابقة قد حلها الله ، ومرت بسلام .

واحذر من أن يوقعك الشيطان فى اليأس ، أو أن يصور لك الأمر معقداً لا حل له .. فإن الإنسان المؤمن لا ييأس .

المؤمن يعرف أن الله موجود ، وانه إله رحيم ، ورحمته غير محدودة ، وهو ضابط الكل ، والعالم كله فى قبضة يديه ... وان الله يدبر كل شىء حسناً ، ولا بد أنه سيتدخل و يعمل عملاً ... لذلك فان المؤمن يستريح فى أعماقه ، و يلقى على الرب كل همه ، و يستودعه جميع اشكالا ته ..

أما الذى يستسلم لليأس ، فإنه يضيع نفسه . وقد يتصرف فى يأسه أى تصرف خاطىء يكون أكثر ضرراً من المشكلة القائمة نفسها .

http://coptic-treasures.com

مثال ذلك الذى ييأس من مشاكل الحياة فينتحر .. أو مثال تلك الفتاة التى تخطىء ، وتيأس من إيجاد حل لمشكلتها ، فتستسلم للخطيئة وتضيع ...

إن القلب القوى لا يستسلم للضيقات ، والقلب الأقوى لا يشعر بالضيقة ، لأنها لم تضايقه . وأتذكر أننى قلت فى إحدى المرات :

إن الضيقة قد سميت ضيقة لأن القلب قد ضاق عن أن يتسع لها .

ولو كان القلب متسعاً ، ما شعر أنها ضيقة . لو كان متسعاً ، ما تضايق منها ... الضيق إذن فى قلوبنا ، وليس فى العوامل الخارجية ...

إن تعكرنا نحن ، تبدو أمامنا كل الأمور متعكرة ..

وإن تعبنا فى الداخل ، تبدو أمامنا كل الأمور متعبة ...

أليس حقاً أن أمراً من الأمور قد يضايق إنساناً ما ، وفى نفس الوقت لا يتضايق منه إنسان آخر، وهو نفس الأمر...

ليس المهم إذن فى نوع الأحداث التى تحدث لنا ، بل المهم بالأكثر هو الطريقة التى نتقبل بها الأحداث ونتصرف معها.

الإنسان القوى الذى يصمد أمام الاشكالات ، يزداد قوة . والإنسان الضعيف الذى ينهار أمامها ، يزداد ضعفاً . فالاشكالات هى نفس الاشكالات ..

ولكنها تقوى شخصاً وتزيده صلابة ومراساً وحنكة ، وتضعف شخصاً آخر ، وتزيده إنهياراً وخوراً وحزناً .

لذلك كونوا أقوياء من الداخل ، وخذوا من الضيقات ما فيها من بركة ، وليس ما فيها من ألم ...

لقد سمح الله بالضيقات من أجل فائدتنا ونفعنا . وفى ذلك قال القديس يعقوب الرسول : « احسبوه كل فرح يا اخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة » . إن المؤمن يشعر أن الله قد سمح له بالضيقة من أجل نفعه ، لذلك يفرح بالضيقة .

وبهذا يقدم لنا الكتاب درجة روحية أعلى من احتمال الضيقات ، وهى الفرح بالضيقات ... إن المسألة تحتاج إلى إيمان . لأنك ربما ترى الضيقة فقط ، ولا ترى الخير الإلهى الكامن فيها ...

http://coptic-treasures.com

إن هذا الخير لا تراه بالعين المادية ، ولكنك تراه بالإيمان ، بثقتك فى عمل الله المحب وحسن رعايته... مثال ذلك يوسف الصديق : أحاطت به التجارب والضيقات حتى اتهم اتهامات باطلة والقى فى السجن. ولكن السجن كان طريقه إلى المُلك

إن أهل العالم قد تزعجهم التجارب ، أما الإنسان المؤمن فهو ليس كذلك.

إن المتاعب قد تحيط به من الخارج ،

ولكنها لا تدخل مطلقاً إلى داخل نفسه ...

إنه كالسفينة الكبيرة التى تمخر عباب المحيط ، تضطرب الأمواج حولها ، وهى سائرة فى رصانة نحو هدفها ، طالما أن المياه ماتزال خارجها .. مسكينة تلك السفينة ، إن وُجِدَ ثقب فى نفسيتها ، واستطاعت المياه أن تنفذ إلى داخلها ..!! احذروا أيها الأحباء من أن تدخل المياه إلى أنفسكم ..

واعلموا فى كل ضيقة أن التجارب التى يسمح بها الله ، لها شروط منها :

١ ـ انها على قدر احتمالكم ،

٢ ـ وأيضاً كل تجربة معها المنفذ

٣ ـ وانها لا بد تؤول إلى نفعكم ،إن أحسنتم استخدامها .

إن الله فى محبته للبشر ، لا يسمح أن تحل تجربة بإنسان يكون احتمالها أكثر من طاقته . كل التجارب التى يسمح بها الله هى فى حدود احتمالنا . والتجارب القوية ، لا يسمح بها الله إلاَّ للناس الأقوياء الذين يحتملونها ...

ما أجمل قول الكتاب : « ولكن الله أمين ، الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ ، لتستطيعوا أن تحتملوها » (١ كو ١٠ : ١٣) .

٤ ـ والتجارب هى مدرسة للصلاة ...

إنها تدرب الإنسان كيف يحنى ركبتيه أمام الله ، وكيف يرفع قلبه قبل أن يرفع يديه ، طالباً العون من الله ، الذى هو معين مَن لا معين له ، ورجاء مَن لا رجاء له ، عزاء صغيرى القلوب ، وميناء الذين فى العاصف ...

http://coptic-treasures.com

جحيم الرغبات

أيها القارىء العزيز ،

لتكن رغبتك الأولى هى الله ، وباقى الرغبات
داخلها .
ولتكن رغباتك سبباً فى سعادتك وسعادة
الناس .
واحذر من أن تعيش فى جحيم الرغبات...
الرغبات العالمية التى تستعبد مَن يخضع لها ...

بحث أحد الحكماء فى أسباب السعادة والشقاء ، فوصل إلى حقيقة عميقة فى فهمها وهى :

إن سبب الشقاء هو وجود رغبة لم تتحقق .

قد يعيش الإنسان فقيراً ، ويكون سعيداً فى نفس الوقت . ولكن إن دخلت قلبه رغبة فى الغنى ولم تتحقق ، حينئذ يتعب ويشقى... وهكذا قد يكون الإنسان مريضاً وراضياً وشاكراً ، يقابل الناس فى بشاشة وابتهاج ، لا يشقيه المرض. لكنه يبدأ فى التعب إن دخلت فى قلبه رغبة فى الشفاء لم تتحقق.

إن رحلة الرغبات داخل القلب تتعبه وتضنيه ، وترهقه وتشقيه .

إنه يشتاق ، ويشقى فى اشتياقه . يريد ، ويجاهد فى تعب لكى يصل : يعد العدة ، ويلتمس الوسائل. يفكر ويقابل ويكتب ويشكو ، ويروح ويجيء ، ويسعى ويتعب فى سعيه .

وقد ينتظر طويلاً .. متى تتحقق الرغبة ، ويشقى فى انتظاره . يصبر ،

http://coptic-treasures.com

و يضيق صدره ، ويمل و يضجر ، و يدركه القلق حيناً ، واليأس حيناً آخر. أو قد يتعبه الخوف ، الخوف من الفشل . وقد يتعب من طياشة الفكر ، ومن أحلام اليقظة ، ومن أن رغباته مجرد آمال ، مجرد قصور فى الهواء ، لا يراها إلاَّ إذا أغمض عينيه ...!

وقد ينتهى سعيه وتعبه إلى « لا شىء » ، ويحرم من رغبته التى يود تحقيقها ، فيشقى بالحرمان.

وأخطر من هذا كله ، فإن آماله واغراضه قد تجنح به عن طريق الصواب . فيتعلم بسببها الخداع ، أو اللف والدوران ، أو التزلف والتملق ، أو الكذب أو الرياء ، أو ما هو أبشع من هذا ... وقد صدق أحد الحكماء حينما قال : [لا بد أن ينحدر المرء يوماً إلى النفاق ، إن كان فى قلبه شىء يود أن يخفيه] .

والعجيب فى هذه الرغبات الأرضية ، أنها تشقى الإنسان حتى إن تحققت . ذلك لأنها لا تقف عند حد ...

قد يعيش الإنسان فى جحيم الرغبات زمناً ، حتى إذا ما تحققت له رغبة ، وفرح بها وقتاً ما ، ما تلبث أن تقوده إلى رغبة أخرى ، إلى خطوة أخرى فى طريق الرغبات الذى لا ينتهى.

إن الرغبة عندما تتحقق يلتذ بها ، وتقوده اللذة إلى طلب المزيد . والوصول إلى هذا المزيد ، قد يجره إلى تعب جديد... و يكون كمَن يشرب من ماء مالح... وكما قال السيد المسيح : « مَن يشرب من هذا الماء يعطش » . وعندما يعطش سيسعى إلى الماء مرة أخرى ليشرب . وكلما يشرب يزداد عطشاً . وكلما يزداد عطشاً يزداد اشتياقاً إلى الماء.. فى حلقه مفرغة لا يستريح فيها ولا يهدأ .

صاحب الرغبة يعيش فى رعب

إما خوفاً من عدم تحقق رغبته

أو خوفاً من ضياعها ، إن كانت قد تحققت .

ومن القصص اللطيفة فى هذا المجال أن رجلاً فقيراً لا يملك شيئاً على الإطلاق ، كان يعيش فى منتهى السعادة ، يضحك ملء فمه ، و يغنى من عمق قلبه . فالتقى به أحد الأمراء وأعجب به ، فمنحه كيساً من الذهب . فأخذه الفقير إلى بيته ، وبدأت

http://coptic-treasures.com

الآمال والرغبات تدخل إلى قلبه : أية سعادة سيبنيها بهذا المال ! ثم لم يلبث الخوف أن ملك عليه ، لئلا يسرق أحد منه هذا الذهب قبل أن يبنى سعادته به . فقام وخبأ الكيس وجلس مفكراً . ثم قام وغير المكان الذى أخفاه فيه . ثم حاول أن ينام ولم يستطع ، وقام ليطمئن على الذهب ... وفى تلك الليلة فقد سلامه ، حتى قال لنفسه : [أقوم وأعيد هذا الذهب إلى الأمير، وأنام سعيداً كما كنت] . وهكذا أشقته الآمال والرغبات وما تحمل من حرص وخوف ...

والإنسان قد يقاد من رغباته ...

رغباته تمثل نقطة ضعف فيه ،

يقوده الناس منها ...

ما أشقى الإنسان الذى تكون رغباته فى أيدى الناس ، فى حوزتهم أو فى سلطانهم أو فى إرادتهم !! بإمكانهم أن يحققوها له ، وبامكانهم أن يحرموه منها . لذلك يعيش عبداً للناس ، تتوقف سعادته على رضاهم ...

لهذا كان النساك يعيشون فى سعادة ، زاهدين لا تتعبهم الرغبات ...

هؤلاء قد انتصروا على الرغبات ، وارتفعوا فوق مستواها . ولم تعد لهم سوى رغبة واحدة مقدسة هى الحياة مع الله والتمتع به ، وهذه لا يستطيع أحد من الناس أن يحرمهم منها .

إن سعادة الناسك الزاهد تنبع من داخله ، من قلبه ، من احساسه بوجود الله معه . أما الناس فإنهم ليسوا المصدر الذى يمنحه السعادة ، وبالتالى ليسوا هم السبب الذى يحرمه إياها .

إنه قد يسعد بهم من أجل محبته لهم ، من أجل الحب الكامن فى قلبه من جهتهم ، وليس من أجل الخير الذى يعطونه إياه ... **هذا الإنسان الذى تنبع سعادته من داخله ، لا تصير سعادته رهناً للظروف الخارجية ، ولا يتحكم فيها الناس .**

هناك أمثلة جميلة لأولئك الذين لم تكن لهم رغبة يحققها الناس ، لعل فى مقدمتهم **مثال ديوجين الفيلسوف** ، ذلك الحكيم الذى كان يحبه الاسكندر الأكبر، وقد بلغ من فرط اعجابه به أنه قال : [لو لم أكن الاسكندر، لتمنيت أن أكون ديوجين] . فى

http://coptic-treasures.com

إحدى المرات جاء الاسكندر لزيارة ديوجين، وأطل عليه من نافذة صومعته وقال له: [أى شيء تريد يا ديوجين، وأنا أعطيك إياه، ولو نصف مملكتى]. فنظر إليه ديوجين فى عمق وقال له: [أريد ألاَّ تمنع عنى الشمس]. وانصرف الاسكندر وقد استصغر ذاته. لم تكن كل مملكته تساوى شيئاً فى قلب ديوجين..

حقاً، أى شيء فى العالم، يمكن أن تتعلق به رغبات الروحيين ؟! لا شيء. ليس فيه سوى المادة والماديات، ومشتهيات الجسد والنفس. ولكنهم يعلقون رغباتهم بالله وسمائه، وبعالم الروح. **لذلك ليس فى العالم شيء يشتهونه. لو كان الذى يشتهونه فى هذه الأرض، لانقلبت الأرض سماء...**

الروحيون أعلى من رغبات العالم وأسمى.

والعالم لا يعطيهم، بل بالحرى يأخذ منهم.

إنهم بركة للعالم، ومن أجلهم يرضى الله على الأرض... ليست سعادتهم فى أن يتمتعوا بما فى العالم من رغبات، إنما سعادتهم فى أن يملأوا العالم خيراً على قدر طاقتهم. إنهم نور للعالم يبدد ظلماته، وهم بهجة للأرض ونعمة.

هؤلاء لا يعيشون فى جحيم الرغبات، بل يسعدون برغباتهم الروحية النابعة من داخلهم، المتحققة دائماً بسبب صلتهم الدائمة بالله.

ولقد تأملت فى حياة أحد هؤلاء الزاهدين المرتفعين عن مستوى الرغبات الأرضية، فناجيته بأبيات منها:

كل ما حولك صمت وسكون ... وهدوء يكشف السرّ المصون
هل ترى العالم إلاَّ تافهاً ... يشتهى المتعة فيه التافهون ؟!
كل ما فيه خيال ينمحى ... كل ما فيه سيفنى بعد حين
هل ترى الآمال إلاَّ مجمراً ... يتلظى بلظاه الآملون
لست منهم. هم جسوم بينما ... أنت روح فرّ من تلك السجون

ما أجمل أن يعيش الإنسان سعيداً بالله. يمكن أن تكون له رغبات، ولكن لا تستعبده الرغبات.

تكون الرغبات مفتاحاً فى يده ولا تكون أغلالاً فى يديه...

http://coptic-treasures.com

يعيش خارج نفسه

إن نفسك أمانة فى عنقك .
ستقدم عنها حساباً فى اليوم الأخير.
فاهتم بنفسك ، واهتم بأبديتك ،
وحاذر من أن تعيش حياتك خارج نفسك .
فما أقسى أن يعيش الإنسان خارج نفسه .

هل فكرت أيها القارىء العزيز فى أبديتك ؟ أعنى فى مصيرك الأبدى ، فى المكان الذى ستستقر فيه أخيراً بعد رحلة هذا العمر؟ إنه سؤال خطير ينبغى أن تفكر فيه ، وأن تعد حياتك كلها من أجله ...

إن لك نفساً واحدة إن ربحتها ، ربحت كل شىء وإن خسرتها خسرت كل شىء .

ففكر فى مصير هذه النفس ، التى لا يوجد فى هذا العالم كله ما هو أثمن منها . وفى ذلك قال السيد المسيح :

« ماذا يستفيد الإنسان ، لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟! »

إن الشيطان مستعد أن يعطيك كل شىء ، فى مقابل أن يربح نفسك له ...

هو مستعد أن يعطيك الغنى والشهرة والمجد واللذة ، فى مقابل أن يأخذ منك نفسك... وكثير من الناس تغريهم أمثال هذه الأمور، فينسون أنفسهم ...

كثير من الناس تغريهم أمور العالم الحاضر ، **حتى يصبح التفكير فى الأبدية أمراً ثقيلاً عليهم !** تراهم يهربون من هذا الموضوع ، ولا يحبون التحدث فيه ، لأنه

http://coptic-treasures.com

يزعج بهجتهم ، و يعطل تمتعهم بالحياة ... ومع ذلك فهذا الموضوع حقيقة قائمة ، الهرب منها لا يمنع وجودها ...

والشيطان مستعد أن يشغل الإنسان بأى شىء ، على شرط ألاّ يفكر فى أبديته ، وألاّ ينشغل بخلاص نفسه ...

والشيطان مستعد أن يشغل الإنسان بأى شىء ، لكى لا يضع أمام عينيه ذلك اليوم الرهيب الذى يقف فيه أمام منبر الله العادل ، ليعطى حساباً عما فعله فى هذه الحياة الدنيا . نعم ، ذلك اليوم الرهيب ، الذى تفتح فيه الأسفار، وتكشف الأعمال ، وتعلن الأفكار والنيات ...

ما أكثر المشغولين عن نفوسهم بأمور أخرى ، لذلك هم يعيشون خارج نفوسهم ...

قد جرفهم العالم بكل مشاغله ومشاكله ، وبكل شهواته ونزواته ، وبكل أخباره وأفكاره.. وإن فكروا فى نفوسهم ، فإنما يفكرون من حيث ارتباطها بأمور العالم ، وليس من حيث ارتباطها بالأبدية ...!

آمالهم وأحلامهم مركزة هنا ، فى هذا التراب ، فى أمجاد هذا العالم الزائل الذى قال عنه الكتاب إن « العالم يبيد ، وشهوته معه » . و يندر أن يفكر أحد منهم فى العالم الآخر، فى أمجاد السماء ، فى ذلك النعيم الأبدى الذى قال عنه بولس الرسول : « ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله لمحبى اسمه القدوس » ...

إننا نعيش فى عالم مشغول ... مشغول عن خلاص نفسه ... ليس لديه وقت للتفكير فى مصيره... عالم تجرفه دوامة عنيفة فى أبعاد سحيقة ، خارج نفسه... لذلك حسن قال الكتاب عن الابن الضال الذى تاب أخيراً ، إنه « رجع إلى نفسه » ...

لقد نجح الشيطان فى أن يشغلنا جميعاً ، حتى لا يبقى لنا وقت للتفكير فى أبديتنا .. بل إن استطاع واحد منا أن يهرب من مشغوليات العالم ، لكى ينشغل بالله وحده ، بأن يهدأ فى البرية عابداً ناسكاً مصلياً ، مهتماً بخلاص نفسه ، مناجياً الله طوال ليله ونهاره ، مرتفعاً عن تفاهات العالم وأباطيله ، نرى الشيطان يتهكم عليه

http://coptic-treasures.com

و يقول : انظروا هذا الهارب من العالم !! هذا الخائف العاجز !! أية رسالة له ؟ وأية منفعة ؟!... إن هدف الشيطان واضح : يريد أن يشغل هذا العابد أيضاً ، أو هذا المصلى ، حتى يرجع إلى مشاكل العالم ومشاغله ... !

إن الشيطان يعدل خططه وأساليبه طبقاً للظروف ومقتضيات الحال ...

كان يقنع الناس فى القديم بأن الله هو تلك الأصنام والأوثان ... فلما فشل فى ذلك الأمر، قدم للبشر فلسفات مضللة ... فلما فشلت تلك أيضاً ، قدم لهم الشهوات واللذة حتى يغريهم بعيداً عن الله ... فإن تنبه الناس لإغراءاته ، يقدم لهم شيئاً آخر، هو المشغولية الدائمة ...

إنه لا يهمه نوع السلاح الذى يحارب به ... إنما المهم عنده أن يربح على كل حال قوماً ... فقد يحارب بهذا السلاح أو ذاك ، أو بكل تلك الأسلحة جميعها ، لكى يصل إلى هدف واحد ، وهو أن ينفرد بالإنسان ، بعيداً عن الله ، فى متاهة ... خارج نفسه ..

وإن اتجه الإنسان نحو الصلاح والخير ، وعجز الشيطان عن إبعاده ، يحاول حينئذ أنه يجعل سعى الإنسان للخير خارج نفسه !.. فيدعو الناس للخير، دون أن يهتم بالسلوك فيه .

يكون كما قال أحد الآدباء ، كمن يشبه أجراس الكنائس ، التى تدعو الناس إلى دخول الهياكل دون أن تدخل هى إليها ... أو كما قال أحد الاقتصاديين : يكون الخير عنده للتصدير الخارجى ، وليس للاستهلاك المحلى ...!

هذا الإنسان يتصل بالخير عن طريق المعرفة ، وليس عن طريق الممارسة .

إنه يتحمس للخير لكى يسير فيه الناس ، لا لكى يسير هو فيه . إنه يشبه ذلك الرجل الذى بكته الشاعر بقوله :

يا أيها الرجل المعلم غيره   هلاَّ لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواء لذى السقام وذى الضعفى   كيما يصحَّ به وأنت سقيمُ
إبدأْ بنفسك فانهها عن غيِّها   فاذا انتهت عنه فأنت حكيمُ

من أجل هذا الإنسان قال السيد المسيح له المجد : « إخرج أولاً الخشبة من عينك ، قبل أن تخرج القذى من عين أخيك » ...

http://coptic-treasures.com

إن كثيرين يهتمون بأخطاء غيرهم ، دون أن يهتموا بأخطاء أنفسهم .

يتحمسون فى مناقشة أخطاء الغير ، كأنهم هم بلا أخطاء ! يتأثرون بأخطاء الغير و يثورون عليها ، كأنهم هم الذين سيحاسبون عليها فى اليوم الأخيرُ..! وأما أخطاؤهم هم ، فلا يبصرونها ... هم أمام أنفسهم بلا عيب ، والناس فى نظرهم كلهم عيوب ... إنهم لا يصلحون أنفسهم ، ولا يصلحون لذلك ، لأنهم يعيشون خارج أنفسهم ! بل ان اخطاءهم ينسبونها إلى غيرهم ، كما قال الشاعر:

نعيب زماننا والعيبُ فينا وما لزماننا عيبٌ سوانا

أيها القارىء الكريم ، اهتم بنفسك ... وقبل أن تفكر فى أخطاء غيْرك ، جاهد لكي تصلح أخطاءك ...

وقبل أن تطبق المثاليات على غيرك من الناس ، طبقها على نفسك أولاً . وبدلاً من أن تكون واعظاً لسواك ، كن عظة ، كن قدوة ، كن درساً عملياً ، كن نموذجاً ... ولكن حاذر من أن تفعل الخير لكى تكون قدوة ، وإلاّ عشت خارج نفسك. وإنما افعل الخير من أجل نفسك، لكى تكون نقياً ومقبولاً أمام الله ومحباً له ...

وإن كنت قد عشت هذا الزمان كله خارج نفسك ، ادخل الآن إليها ، واكتشف خباياها ، واصلحها ... ولا تنشغل بأخطاء الناس ، أو ما تظنها أخطاء ، فربما تكون ظالماً فى ظنك ... ضع أمامك ذلك المثل المشهور الذى يقول :

" مَن كان بيته من زجاج ، لا يقذف الناس بالحجارة " .

http://coptic-treasures.com

المحبة..

هى قمة الفضائل جميعاً

المحبة هى الفضيلة الأولى ، بل هى **جماع الفضائل كلها**. وعندما سُئل السيد المسيح عن الوصية العظمى فى الناموس، قال إنها المحبة « تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك.. وتحب قريبك كنفسك» «وبهذا يتعلق الناموس كله والأنبياء».

وقد جاء السيد المسيح إلى العالم لكى ينشر المحبة، المحبة الباذلة المعطية، محبة الله للناس، ومحبة الناس لله، ومحبة الناس بعضهم لبعض. وهكذا قال لرسله القديسين: «بهذا يعلم الجميع أنكم تلاميذى، إن كان فيكم حب بعضكم نحو بعض».. وبهذا علمنا أن نحب الله، ونحب الخير.. ونطيع الله من أجل محبتنا له، ومحبتنا لوصاياه..

تربطنا بالله علاقة الحب، لا علاقة الخوف. إن الخوف يربى عبيداً، أما الحب فيربى الأبناء، وقد نبدأ علاقتنا مع الله بالمخافة ولكنها يجب أن تسمو وتتطور حتى تصل إلى درجة الحب، وعندئذ يزول الخوف.

فى إحدى المرات قال القديس العظيم الانبا أنطونيوس لتلاميذه: **[يا أولادى، أنا لا أخاف الله]**. فلما تعجبوا قائلين: [هذا الكلام صعب يا أبانا]، حينئذ أجابهم القديس بقوله: [ذلك لأننى أحبه، والحب يطرح الخوف إلى خارج].

والإنسان الذى يصل إلى محبة الله، لا تقوى عليه الخطية. يحاربه الشياطين من الخارج، وتتحطم كل سهامهم على صخرة محبته. وقد قال الكتاب: «المحبة لا تسقط أبداً». وقال سليمان الحكيم فى سفر النشيد: «المحبة قوية كالموت.. مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة». ولذلك قال القديس أوغسطينوس: [أحبب، وأفعل بعد ذلك ما تشاء]..

http://coptic-treasures.com

وقد بلغ من أهمية المحبة انها سارت اسماً لله. فقد قيل فى الكتاب المقدس: «**الله محبة، مَن يثبت فى المحبة، يثبت فى الله، والله فيه**»..

إن المحبة هى قمة الفضائل جميعاً. هى أفضل من العلم، وأفضل جميع المواهب الروحية، وأفضل من الايمان ومن الرجاء.. ولهذا قال بولس الرسول:

إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة، ولكن ليس لى محبة، فقد صرت نحاساً يطنّ أو صنجاً يرنّ، وإن كانت لى نبوءة، وأعلم جميع الأسرار وكل علم، وإن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال، وليست لى محبة، فلست شيئاً».

«العلم ينفخ، والمحبة تبنى».

إن الدين ليس ممارسات ولا شكليات ولا فروضاً، ولكنه حب.. وعلى قدر ما فى قلب الإنسان من حب لله وحب للناس وحب للخير، هكذا يكون جزاؤه فى اليوم الأخير..

إن الله لا تهمه أعمال الخير التى يفعلها الناس، إنما يهمه ما يوجد فى تلك الأعمال من حب للخير ومن حب لله..

فهناك أشخاص يفعلون الخير ظاهراً وليس من قلوبهم، وهناك أشخاص يفعلون الخير مجبرين من آخرين، أو بحكم القانون، أو خوفاً من الانتقام، أو خوفاً من العار، أو خجلاً من الناس.. وهناك أشخاص يفعلون الخير من أجل مجد ينالونه من الناس فى صورة مديح أو إعجاب.. كل هؤلاء لا ينالون أجراً إلاَّ إن كان الحب هو دافعهم إلى الخير..

لذلك ينبغى أن نخطط كل فضيلة بالحب، ونعالج كل أمر بالحب، يكون الحب دافعنا، ويكون الحب وسيلتنا، ويكون الحب غايتنا. ونضع أمامنا قول الكتاب: «لتصر كل أموركم فى محبة».

+ تدخل الحب فى كل الفضائل:

كما ينبغى أن يدخل الاتضاع فى كل فضيلة لكى يحفظها من الزهو والخيلاء والمجد الباطل، كذلك ينبغى أن يدخل الحب فى كل فضيلة لكى يعطيها عمقاً ومعنى

http://coptic-treasures.com

وحرارة روحية .. ولنضرب لذلك بضعة أمثلة ..

الصلاة مثلاً ، هل هى مجرد حديث مع الله ؟ إنها أكبر من ذلك، إنها إشتياق القلب لله ، وهى تعبير عن الحب الداخلى ..

لذلك قال داود النبى فى مزاميره: « يا الله أنت إلهى ، عطشت نفسى إليك التحقت نفسى وراءك .. كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه ، كذلك إشتاقت نفسى إليك يا الله .. محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى » . « وجدت كلامك كالشهد فأكلته » ..

والذهاب إلى بيت الله ، أهو نوع من العبادة ، أم هو أيضاً حب ؟ نسأل فى هذا داود النبى ، فيقول فى مزاميره: « مساكنك محبوبة ، أيها الرب إله القوات . تشتاق وتذوب نفسى للدخول إلى ديار الرب » . « فرحت بالقائلين لى : إلى بيت الرب نذهب » .. « واحدة طلبت من الرب ، وإياها التمس ، أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى .. » .

ليست الصلاة فقط هى علاقة حب ، ولا الذهاب إلى بيت الله فحسب ، وإنما العبادة كلها .. **إن العبادة ليست هى حركة الشفتين بل القلب ، إنها حركة القلب نحو الله . إنها استبدال شهوة بشهوة : ترك لشهوة العالم ، من أجل التعلّق بشهوة الله ..**

كذلك خدمة الله ، والسعى لخلاص أنفس الناس .. كلها أعمال حب .. الخادم هو الإنسان الذى يحب الناس ، و يهتم بمصيرهم الأبدى ، و يسعى إلى خلاص نفوسهم . إنه كالشمعة التى تذوب لكى تضىء للآخرين ، يقول مع بولس الرسول : « وددت لو أكون أنا نفسى مرفوضاً ، من أجل اخوتى وانسبائى حسب الجسد » .. « مَن يفتر وأنا لا ألتهب ؟! » .

لذلك كل إنسان يخدم الله ، عليه أن يتعلم الحب أولاً ، قبل أن يخدم الناس .. فالناس يحتاجون إلى قلب واسع ، يحس إحساسهم ، و يشعر بهم و يتألم لآلامهم ، و يفرح لأفراحهم ، ويحتمل ضعفاتهم ، ولا يحتقر سقطاتهم ، بل أيضاً يحتاجون إلى قلب يحتمل جحودهم وصدودهم وعدم اكتراثهم . و بالحب نستطيع أن نربح الناس ..

http://coptic-treasures.com

والإنسان الذى يعيش بالحب، عليه أن يحب الكل. إن القلب الضيق هو الذى يحب محبيه فقط، أما القلب الواسع فيحب الجميع حتى أعداءه.

ولهذا قال السيد المسيح له المجد: «احبوا اعداءكم، باركوا لاعنيكم، إحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم و يطردونكم».. واعطانا مثلاً وقدوة من الله نفسه الذى: «يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين».

لذلك علينا أن نحب الكل، ولا نضيق بأحد، ونأخذ درساً حتى من الطبيعة.. نتعلم من النهر الذى يعطى ماءه للكل، يشرب منه القديس، كما يشرب منه الخاطىء.. انظروا إلى الوردة كيف تعطى عبيرها لكل مَن يعبر بها، يتمتع برائحتها البار والفاسق، حتى الذى يقطفها، و يفركها بين يديه، تظل تمنحه عطرها حتى آخر لحظة من حياتها..

ليتنا نعيش معاً بالحب، وأقصد به الحب العملى، كما قال الكتاب: «لا نحب باللسان ولا بالكلام، بل بالعمل والحق».. لأن كثيرين قد يتحدثون عن الحب، وأعمالهم تكذبهم، هؤلاء الذين وبخهم الله بقوله: «هذا الشعب يعبدنى بشفتيه، أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً»..

وأهم ما فى الحب هو البذل، وأعظم ما فى البذل هو بذل الذات.. لذلك قال السيد المسيح: «ليس حب أعظم من هذا، أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه».

فلنحب الناس جميعاً، لأن القلب الخالى من الحب، هو خال من عمل الله فيه، هو قلب لا يسكنه الله.

وإن لم نستطع أن نحب إيجابياً فعلى الأقل لا نكره أحداً. فالقلب الذى توجد فيه الكراهية والحقد هو مسكن للشيطان..

إن لم نستطع أن نحب الناس، فعلى الأقل لا نكرهم، وإن لم نستطع أن ننفع الناس، فعلى الأقل لا نؤذيهم..

فليعطنا الله محب البشر، الذى أحب الكل فى عمق، أن نحب بعضنا بعضاً، بالمحبة التى يسكبها الله فى قلوبنا، له المجد الدائم إلى الأبد. آمين..

http://coptic-treasures.com

كيف تحب الناس ويحبك الناس ؟

هناك قواعد هامة ، عليك أن تتبعها لكى تكسب محبة الناس ، ونحاول هنا أن نعرض لبعض منها .

١ - ضع هدفاً واضحاً أمامك ، أن تكسب محبة الناس ، حتى لو أدى الأمر أن تضحى فى سبيل ذلك ..

هناك أشخاص يهمهم ذواتهم فقط ، ولا يهتمون بالآخرين . لا يبالون إن غضب فلان أو رضى . أما أنت فاحرص على شعور كل أحد، وحاول أن تكسب كل أحد، لأن الكتاب يقول : «رابح النفوس حكيم» . وان عرفت أن واحداً من الناس متضايق منك، فلا يهدأ قلبك حتى ترضيه . اجعل كل أحد يحبك، وكما قال الكتاب : «ان استطعتم فعلى قدر طاقتكم سالموا جميع الناس» . لذلك قدم للناس محبتك ، واكتسب محبتهم ، واعتبر أن محبة الناس كنز ثمين يجب أن تحرص عليه .

٢ - وفى سبيل محبة الناس ، احترم كل أحد ، حتى مَن هو أصغر منك وأقل شأناً .

كثير من الناس يحترمون مَن هم أكبر منهم أو مَن هم أعظم مركزاً ، ولكنهم يتجاهلون مَن هم أقل منهم ، وبهذا يخسرون الكثير. أما أنت فتدرب على احترام الكل وتوقير الكل . لا تقل كلمة فيها إقلال من شأن أحد ، أو جرح لشعور إنسان . ولا تعامل أحداً باستصغار أو باحتقار، ولا تتجاهل أحداً مهما كان مجهولاً . درب نفسك على عبارات تقدير وتوقير بالنسبة إلى أولادك أو اخوتك الصغار أو مرؤوسيك أو خدمك ..

http://coptic-treasures.com

واعلم أن أمثال هذه العبارات سوف لا تنسى ، سيتذكرها أولئك الصغار طول العمر، وسترفع من روحهم المعنوية ، وستجعلهم يحبونك. إن كثيراً من الكبار ينسون احترامك لهم لأنه شيء عادى بالنسبة إليهم. أما الصغار فلا ينسون. احترامك لهم عمل باقٍ لا يضيع. واعرف أن الله لا يحتقرنا على الرغم من الفارق اللانهائى بين عظمته وضآلتنا ، والله مع ذلك يتنازل و يكلمنا ، و يتضع مستمعاً إلينا ساعياً لخلاص أنفسنا .

٣ - لذلك فإن تواضعك للناس هو عامل هام فى كسب محبتهم لك .

لا تكلم أحداً من فوق ، ولا تتعالَ على أحد ، بل عامل الكل باتضاع ، فإن الناس يحبون المتضعين. إن كان لك مركز كبير، إنس مركزك ، وعش مع الناس كواحد منهم. لا تشعرهم بفارق..

فى إحدى المرات سألنى أحد الآباء نصيحة ، فقلت له : [كن إبناً وسط اخوتك ، وكن أخاً وسط أبنائك] ذلك لأن الاتضاع يستطيع أن يفتح حتى القلوب المغلقة... والناس قد يخافون مَن هو عالٍ وكبير بينهم ، ولكنهم يحبون مَن ينسى مركزه فى محبتهم. اكتسب إذن محبة الناس لك لا خوفهم منك. ولا يكن هدفك أن يهابك الناس وإنما أن يحبوك. لا تطلب أن تكون فوق رؤوسهم ، وإنما اطلب أن تكون داخل قلوبهم .

ولا تظن أن تواضعك للناس ، يقلل من شأنك ، بل على العكس انه يرفعك أكثر.. تذكر قول الشيخ الروحانى : [فى كل موضع حللت فيه ، كن صغير اخوتك وخديمهم] ... وقد قال السيد المسيح : «مَن وضع نفسه يرتفع ، ومَن رفع نفسه يتضع » ... وما أجمل تلك النصيحة التى وجهها الشيوخ الحكماء لرحبعام الملك ابن سليمان الحكيم حينما قالوا له : «إن صرت اليوم عبداً لهذا الشعب ، واحببتهم وخدمتهم ، يكونوا لك عبيداً كل الأ يام » ..

٤ -إن أردت أن يحبك الناس ، اخدمهم ، وساعدهم ، وابذل نفسك عنهم ..

اشعرهم بمحبتك بما تقدمه لهم من معونة ومن عطاء ومن بذل . ان الذين يحبون ذواتهم ، يريدون باستمرار أن يأخذوا وأن ينالوا وأن يكسبوا. أما أنت فلا تكن

http://coptic-treasures.com

كذلك. درب نفسك على البذل والاعطاء. لتكن علاقتك بالناس تهدف إلى مصلحتهم هم لا إلى مصلحتك أنت. انظر كيف تريحهم، وكيف تجلب السرور إلى قلوبهم، وتُدخل الفرح إلى حياتهم.. بهذا يحبونك..

إن أكثر إنسان مكروه هو الشخص الأنانى، وأكثر إنسان محبوب هو الشخص الخدوم، الباذل المعطى.

لا تظن أن الطفل هوفقط الذى تعطيه فيحبك، بل حتى الكبير أيضاً.. الله نفسه علاقته مع الناس علاقة اعطاء وبذل، وكذلك الرسل.. الأم محبوبة جداً لأنها باستمرار تعطى وتبذل..

وإن لم يكن لك شيء تعطيه للناس، اعطهم ابتسامة لطيفة وكلمة طيبة. اعطهم حباً، اعطهم حناناً، اعطهم كلمة تشجيع.. اعطهم قلبك.. اظهر لهم انك تريد، وانك مستعد، لكل تضحية من أجلهم..

٥ - وإن أردت أن يحبك الناس، قابلهم ببشاشة ولطف..

إن الشخص البشوش شخص محبوب.. الناس أيضاً يحبون الإنسان المرح والإنسان اللطيف، والإنسان الذى ينسيهم آلامهم ومتاعبهم بكلامه العذب وشخصيته المريحة.. لذلك حاول باستمرار أن تكون بشوشاً.. حتى فى عمق متاعبك وضيقاتك إنس متاعبك لأجل الناس..

لا تكلم أحداً وأنت مقطب الوجه صارم الملامح، إلاّ فى الضرورة الحتمية لأجل الصالح. أما فى غير ذلك فكن لطيفاً..

كلم الناس بكل أدب وذوق، لا تعبس وجهك..

٦ - إن أردت أن تكسب محبة الناس، لا تكن كثير الانتهار، أو كثير التوبيخ..

إن الكلمة القاسية كلمة موجعة تتعب الناس. والكلمة الجارحة قد تضيع المحبة وتبددها، فلا تكن كثير الانتهار.. إن أردت أن توجه لوماً أو نصيحة، فليكن ذلك بهدوء ووداعة وفى غير غلظة. ولا تشعر الناس بكثرة توبيخك أن تكرههم. وإن أردت أن تقول كلمة توبيخ، فلتسبقها عبارة تقدير أو عبارة مديح أو مقدمة لطيفة تمهد

http://coptic-treasures.com

الجو لقبول التوبيخ . أو على الأقل تخير الألفاظ فى توبيخك فلا يكن جارحاً مهيناً ، ولا يكن أمام الناس حتى لا يشعر مَن توبخه بالذل والخزى .. كذلك لا توبخ على كل صغيرة وكبيرة وإنما على الأمور الهامة فقط ، إذ لا يوجد إنسان يخلو من الزلل . ويمكنك أن توجه الناس دون أن تجرحهم . ولا توبخ كل أحد ، لأن سليمان الحكيم يقول : « وبخ حكيماً يحبك ، وبخ مستهزئاً يبغضك » ..

وإذا انتقدت فلا تكن قاسياً فى نقدك ، إنما تكلم عن النقط الحسنة قبل أن تذكر السيئة . إذا انتقدت أحداً لا تحطمه بل كن رفيقاً به . وليكن هدف النقد هو البناء وليس الهدم ..

٧ ـ وإن أردت أن يحبك الناس ، دافع عنهم ، وامدحهم ..

حساس جداً هو القلب المسكين الذى يجد الكل ضده ، ووسط هؤلاء يعثر على إنسان يدافع عنه . إنه يهبه كل قلبه .. لذلك دافع عن الناس ، وبخاصة مَن تجده فى مأزق ، أو مَن تجد الضغط شديداً عليه ، أو مَن تراه مظلوماً أو فى حاجة إلى مَن يدافع عنه ..

وفى تعاملك مع الناس تذكر حسناتهم وانس سيئاتهم . وتأكد أن كل إنسان مهما كانت حياته مظلمة ، لا بد ستجد فيه بعض نقط بيضاء تستوجب المديح .. ابحث عن هذه النقط البيضاء وامتدحها وابرزها واظهر له انك تعرفها وتقدرها . عندئذ سيحبك و يكون مستعداً لقبول توجيهك أو توبيخك بعد أن اظهرت له حبك ..

لتكن ألفاظك بيضاء ، حاول أن تكثر من ألفاظ المديح لمَن يستحقها .. لا تكن شتاماً ، ولا هداماً ، ولا مستهزئاً ، ولا متهكماً على الآخرين .. اضحك مع الناس ، ولكن لا تضحك على الناس . اشعر كل أحد بتقديرك له ، واعلن هذا التقدير أمام الكل .. استفد من الخير الذى فى الناس قبل أن تنقد الشر الذى فيهم . اعتبر أن الشر الذى فى الناس دخيل عليهم ، وواجبك أن تنقذهم منه لا أن تحطمهم بسببه .

٨ ـ وإن أردت أن يحبك الناس فلتكن إنساناً فاضلاً فيه الصفات المحببة إلى الناس .

لا تظن أن الناس يحبون عبثاً أو بلا مقابل ، بل يحبون الشخص الذى تتركز فيه

http://coptic-treasures.com

الصفات التى يحبونها .. يحبون الإنسان القديس ، والإنسان الشجاع والإنسان الناجح والإنسان الذكى .. فلتكن فيك صفات جميلة .. عندئذ سيحبك الناس بسببها .. لذلك إن أردت أن يحبك الناس قوم نفسك أولاً ..

اصلح العيوب التى فيك التى يكرهها الناس ، عندئذ يحبك الناس ..

إن واجهك أحد بعيب فلا تغضب ، بل اختبر نفسك جيداً فربما يوجد هذا العيب فيك . حينئذ اشكر مَن وجهك إليه ولا تحزن منه ..

٩ ـ وإن أردت أن يحبك الناس ، احتمل الناس .

لا تنتقم لنفسك ، ولا تقابل السيئة بمثلها ، ولا تغضب على مَن يسىء إليك .. كل إنسان له ضعفات فاحتمل ضعفات الناس . لا تتضايق بسرعة ، ولا تخسر الناس بسبب اخطائهم ، بل اغفر لكل مَن يخطىء إليك .. وعندما يرجع إلى نفسه و يذكر احتمالك له ستزداد محبته لك .. وحتى الذين لا يرجعون لا تخسرهم أيضاً بل اذكر قول القديس يوحنا ذهبى الفم حينما قال : [مَن لا توافقك صداقته ، فلا تتخذه لك عدواً] .

١٠ ـ وإن أردت أن يحبك الناس كن مخلصاً لهم ، وكن حكيماً فى اخلاصك .

عامل الناس بكل اخلاص ، واحذر من أن تكون محبتك لهم ضارة بهم . بل لتكن محبتك فى حكمة استخدم المديح ولكن لا تستخدم التملق ولا الرياء . واستخدم الحنو، ولكن ابعد عن التدليل الضار.. كن مخلصاً فى حبك للناس ، هدفك صالحهم وليس مجرد أن يحبوك .

والله المحب قادر أن يسكب المحبة فى قلوبنا جميعاً لنحب بعضنا بعضاً كما أحبنا هو فى قلبه الواسع الكبير.

http://coptic-treasures.com

الأسرة السعيدة

يجمعها الفهم والحب

إن أول علاقة ينشئها الإنسان فى حياته هى علاقته بأمه ، ثم علاقته بأبيه . لولاهما ما كان له وجود ، ولولاهما ما بقى كما هو الآن . إن أقل غلطة تقع فيها الأم أو يقع فيها الأب من جهة تربية الابن والحفاظ عليه ، كافية لتغيير مصير هذا الابن وخط سيره فى الحياة . لذلك من أول الواجبات على الأبناء ، العرفان بجميل الوالدين .

من أجل هذا أمر الله بمحبة الوالدين وطاعتهما واحترامهما . وان وصية اكرام الوالدين هى أولى الوصايا الخاصة بالعلاقات البشرية التى كتبت ضمن الوصايا العشر ، وسلمت إلينا على يد موسى النبى .

ما أقسى على قلب الأم أن تتعب دهراً طويلاً من أجل وليدها ، حتى إذا شب وكبر ، يتنكر لها وكأنه لا يعرفها .. إن الإنسان الذى يخون أمه و ينسى محبتها ، من الصعب أن يخلص لأحد من الناس .. حتى إن كان للأم أخطاء حالية ، فلا يصح أن ننسى لها تعبها القديم كله .. إن شيئاً من الحب ومن العطف ومن الاحترام نقابلها به ، يكفى جداً لأن يذيب مشاعرها ، فتقابله بالتجاوب السريع ...

إن محبة الوالدين غريزة فينا ، لذلك فالخروج عنها هو نوع من الشذوذ ، ضد طبيعتنا . انها فضيلة لا نبذل فى سبيل اقتنائها شيئاً من الجهد ... لذلك كانت عقوبة الابن العاق شديدة جداً . لذلك يقول الكتاب : « ملعون مَن يستخف بأبيه وأمه » . وجاء فى أمثال سليمان الحكيم : « العين المستهزئة بأبيها ، والمحتقرة اطاعة أمها ، تقورها غربان الوادى ، وتأكلها فراخ النسر » ...

وهناك وسائل كثيرة لإكرام الوالدين ، نذكر من بينها النجاح فى الحياة . لا

http://coptic-treasures.com

شك أن الابن الناجح يفرّح قلب أمه ، و يرفع رأس أبيه . بينما الابن الفاشل أو الجاهل هو مرارة قلب لأ بيه وأمه ، وسبب خزى وعار لكليهما . لذلك فإن نجاح الابن يعد من أعظم الهدايا التى يقدمها لوالديه . أما إن كان فاشلاً فى حياته ، فإن أباه لا يعرف أين يخفى وجهه ... إن أوغسطينوس فى فترة ضلاله كان مصدر ينبوع دموع مرّة لأمه القديسة مونيكا .

ومن مظاهر إكرام الوالدين الاهتمام بهما واعالتهما وبخاصة فى حالات الشيخوخة والمرض والاحتياج .

قرأت قصة مؤداها انه فى إحدى المرات غزا جيش الأعداء بلداً من البلاد وقتل الجنود كل مَن فيها . وكان فى تلك البلدة شابان على معرفة بقائد الجيش الذى غزا المدينة ، وكان قد فعلا معه جميلاً من قبل ، أراد أن يرده لهما . فقال لهما : [احملا أثمن ما عندكما ، واهربا من البلد بسرعة ، وأنا أضمن سلامتكما] . فدخل الشابان إلى بيتهما ليحملا أثمن ما عندهما . فحمل أحد الشابين أباه ، وحمل الآخر أمه ، وتركا المدينة ..

ومن اكرام الوالدين أيضاً المحبة والاحترام ، على أن يكون هذا الحب عملياً أيضاً ، فيعمل الابن على اراحة والديه ، وكسب رضائهما ، ونوال بركتهما . و يظهر لهما محبته باستمرار. و يظل هكذا حتى بعد موتهما ، يحفظ وصية كل منهما ، و يقيم الصلوات من أجلهما .

ولا يصح أن يعامل الابن أبو يه بنفس المستوى ، كلمة بكلمة ، وغضبة بغضبة ، ونقداً بنقد . إن من حقهما أن يوبخاه ، ومن واجبه أن يسمع دون أن يرد . بل يحاول الاستفادة من توبيخهما ، متذكراً قول الكتاب : « أمينة هى جراح المحب ، وغاشة هى قبلات العدو » .

ومن علامات احترام الوالدين خدمتهما فى كل ما يحتاجان إليه ، دون أن يطلبا ذلك . بل على الابن أن يكون حساساً جداً من هذه الناحية ، يدرك ما يلزم والديه فيحضره لهما دون أن يضطرهما إلى الطلب . عندما دخلت أم سليمان الملك لتزوره ، قام عن عرشه ، وسجد لها إلى الأ رض ، وأحضر كرسياً وأجلسها بجواره ...

http://coptic-treasures.com

ومن علامات احترام الوالدين عدم الخجل من مركزهما إن كان فقيرين. إن يوسف الصديق عندما كان نائب فرعون فى مصر ووزيره الأول. لم يستح من والده يعقوب وكان راعياً للغنم، فقدمه للملك وأكرمه فرعون من أجله... من الخطأ أيضاً أن يظن ابن أن والده من جيل قديم عفا عليه الزمن، أو من عصر بال وتقاليد متأخرة...

ومن علامات إكرام الوالدين الطاعة والخضوع. على أن تكون طاعة حقيقية صادرة من القلب، وطاعة سريعة بدون تأخر، وطاعة بغير تذمر، وإنما برضى وثقة، وطاعة حتى فى غيابهما، وطاعة بغير خداع. وتكون أيضاً طاعة صادقة وليست طاعة شكلية...

إذ قد يوجد ابن يريد أن يطيع والديه شكلياً. فإن رفضا له طلباً، يظل يضغط ويلح، ويضغط ويلح، وقد يتضايق وقد يحزن، ويظل هكذا حتى يحصل على موافقتهما... وينفذ ما يشاء، ويفخر بأنه لم يخالف والديه مطلقاً، وهو يعلم تماماً أن موافقتهما شكلية تمت بالضغط من جانبه، وإنها مجرد موافقة لسان وليست موافقة قلب. حقاً ان هذا الابن قد اطاع من جهة المظهر لكنه لم ينل رضى والديه ولم يرح قلبهما فى تصرفه...

على أن من شروط طاعة الابن لوالديه ان تكون طاعة مقدسة فى حدود وصايا الله.. ولا يصح ان يطيع أباً أو أماً فيما يخالف وصايا الله، ولا يطيع والداً منحرفاً يبعده عن طريق الرب، لأن الطاعة لله أولى. وكما قال الكتاب: «ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس».

كن طائعاً خاضعاً فى كل شيء، بكل اتضاع حتى الموت من أجل والديك.. **انكر ذاتك وانكر مشيئتك، وانكر كرامتك.. ولكن لا تنكر ضميرك..**

لأجل هذا يجب على الوالدين أن يكونا دقيقين ورقيقين فى أوامرهما. كل أمر يصدر منهما للابن يجب أن يكون مملوءاً بالحكمة، وموافقاً لكلام الله، وفى حدود امكانيات الابن فى التنفيذ. **ان وصية الله التى تقول لنا: «أيها الأبناء، أطيعوا آباءكم فى الرب»، تقول أيضاً: «أيها الآباء، لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا».**

http://coptic-treasures.com

ولا يصح أن نأخذ نصف الحقيقة ، وننسى النصف الآخر . ويجب أن نعلم أن كل حق يقابله واجب . من حق الأب أن يُطاع ، ومن واجبه أن يأمر بما يليق ، و يراعى شعور ابنه .. وكذلك الأم ...

إن الأم التى توقع ابنها فى حيرة واشكال : أيهما أولى بالارضاء ، أمه أو زوجته ؟! هى أم قاسية على ابنها . إن كانت تحبه ، فلا داعى إلى احراجه بخصامها مع زوجته ... ترفقوا ببنيكم ، لئلا يفشلوا ...

نعود إلى إكرام الوالدين ، فنقول إن هذه الوصية يمكن أن تتسع فوق نطاق القرابة الجسدية .

فهناك أنواع كثيرة من الأبوة والأمومة يجب إكرامها . هناك نوع من القرابات فى مستوى الأبوة والأمومة كالعم والخال مثلاً والعمة والخالة . وهناك أبوة السن أعنى إكرام الكبار الذين هم فى سن الوالدين . وهناك الأبوة الروحية كالمعلم والكاهن والمرشد الروحى وأب الاعتراف وكالآباء القديسين فى تاريخنا . وهناك أبوة المركز و يدخل فى نطاقها طاعة الرؤساء .. وفوق الكل هناك أبوة الله لنا .

وهناك أيضاً أبوة الوطن فكلنا أبناء لمصر ، وكلنا أبناء للنيل . كلنا أبناء لوطننا العزيز الذى يجب أن نكرمه فى عيد الأسرة وفى كل حين .

http://coptic-treasures.com

فلسفة الأخذ والعطاء

هل نحن فى حياتنا نأخذ أم نعطى ؟

أم نحن نأخذ ونعطى، أم نأخذ ولا نعطى ؟.

لسنا نستطيع أن نفهم كل هذا، ما لم ندرك فى عمق: ما هى فلسفة الأخذ والعطاء.

كلنا فى الحياة نأخذ ونعطى .. وسعيد هو الإنسان الذى مهما أعطى، يشعر أنه يأخذ أكثر مما يعطى ، أو لا يشعر اطلاقاً انه يعطى ..

مسكين ذلك الشخص الذى يظن أنه لا يأخذ شيئاً ، أو الذى لا يحس ما قد أخذه.. انه يعيش تعيساً فى الحياة، شاعراً بالظلم، وشاعراً بالعوز، و يقضى عمره فى التذمر وفى الضجر وفى الشكوى، وفى الافتقار إلى الحب.

واحد فقط ، يعطى باستمرار دون أن يأخذ من أحد ، انه الله . والله وحده يعطى الكل، ولا يأخذ من أحد شيئاً .. لانه لا يحتاج إلى شىء، فهو مكتف بذاته، كامل فى كل شىء، يملك كل شىء، ولا يوجد عند أحد شىء يعطيه لله..

ولكن لعل البعض يسأل : ألسنا فى الصلاة نعطى الله وقتاً ، ونعطيه قلباً، ونعطيه حباً ؟! كلا، ليس هذا هو المفهوم الحقيقى للصلاة. إننا عندما نصلى، إنما نأخذ من الله نعمة، ونأخذ منه بركة، ونأخذ منه كافة احتياجاتنا الروحية والمادية.. بل نأخذ أيضاً لذة التخاطب معه، ولذة الوجود فى عشرته الإلهية..

http://coptic-treasures.com

إن الذى يظن أنه يعطى الله وقتاً ، ويعطيه ركوعاً وسجوداً وتسبيحاً وتمجيداً، ما أسهل عليه أن يمتنع أحياناً عن الصلاة محتجاً بأن ليس له وقت ليعطيه !

وما أسهل على هذا الإنسان أن يجدف على الله الذى يطالبه بكل هذا التسبيح والتمجيد !! والذى يفرض عليه كل هذه الفروض ! وما أسهل على هذا الإنسان أن يحتج بأنه ليست لديه صحة للصوم، وليست لديه رغبة للتعبد، وليس لديه وقت للصلاة.. وان قام بمثل هذه العبادة، يقوم بها بطريقة حرفية آلية لا روح فيها.

الواقع إننا نصلى لأننا محتاجون إلى الله ، لذلك نبسط إليه أيدينا إشارة إلى أخذنا منه .. إن أفواهنا تتقدس عندما تلفظ اسمه القدوس، وقلوبنا تبتهج بعشرته وانه لتواضع كبير من الله أن يسمح لنا بمخاطبته، ومنة عظيمة منه أن يوقفنا أمامه. لذلك فى كل مرة نقف للصلاة، ينبغى أن نشكره - تبارك اسمه - على كل هذا التفضل والتواضع.

وعندما يقول الله : « يا ابنى اعطنى قلبك » ، إنما يقصد : اعطنى هذا القلب لأملأه بركة وحباً وطهارة. أعطنى هذا القلب لكى أقدسه وانقيه وأغسله من جميع أقذاره، وأرفعه عن مستواه الأرضى لكى أجلسه فى السماويات، وأريه مجدى..

لذلك فى كل مرة نذهب فيها للصلاة ، ينبغى أن نشعر بأننا نأخذ ولا نعطى، وانها بركة لنا وليست فرضاً علينا.

هذا من جهة الله ، وأما من جهة الناس ، فإننى أسأل : أترانا حقاً نعطيهم شيئاً مهما كنا محبين وكرماء ؟

نحن لا نملك شيئاً لنعطيه . كل الذى لنا هو ملك لله ، استودعنا إياه، وقد أخذناه منه لنعطيه لغيرنا . كل ما نتبرع به لمشروعات الخير، إنما نقول عنه لله ما سبق أن قاله داود النبى: «من يدك أعطيناك». تماماً كالابن الصغير الذى يقدم هدية فى عيد الأسرة لأبيه أو أمه، ومنهما قد أخذ المال الذى اشترى به هذه الهدية..

إن الله قد أعطانا اليد التى تعطى ، وأعطانا الخير الذى نعطى منه، بل قد أعطانا أيضاً محبة العطاء..

http://coptic-treasures.com

نعم ، حتى موهبة العطاء قد أخذناها منه . هذه الفضيلة ، فضيلة العطاء ، قد تفضل الله فأنعم بها علينا .. هى جزء من عمله فينا ، وجزء من مؤازرة نعمته لنا . لأن كل موهبة صالحة ، هى نازلة من فوق ، من عند الله ..

كل شىء نعطيه سنجده فى الأبدية ، وسنأخذ أكثر منه بكثير. وسنرى أن المكافأة فى السماء أغزر وأوفر. فالشىء الذى نعطيه ، أو الذى يعطيه الله عن طريقنا ، هو محجوز لنا فوق ، لم يضع .. **فى الواقع اننا لم نعطه ، وإنما ادخرناه ! فأين العطاء إذن ؟!**

إننا نعطى الفانيات ونأخذ الباقيات ، نعطى الأرضيات ونأخذ السماويات . نعطى المادة ونأخذ البركة . لا شك أننا نأخذ أكثر مما نعطى ..

لذلك أيها القارىء العزيز ، عوّد نفسك على العطاء . فقد قال الكتاب : « مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » .

اعط بفرح وليس بتضايق لأن الكتاب يقول : « المعطى بسرور يحبه الرب » . واعط عن حب . وعن عاطفة . واعط بوفرة وبكرم اعط وأنت موسر، واعط وأنت معوز، فالذى يعطى من أعوازه ، يكون أعظم بكثير ممّن يعطون من سعة . وأجره أكبر فى السماء .

وإن لم يكن لك ما تعطيه ، اعط ابتسامة طيبة ، أو كلمة تشجيع ، أو عبارة تفرح قلب غيرك . ولا تظن أن هذا العطاء المعنوى أقل من العطاء المادى فى شىء ، بل أحياناً يكون أعمق منه أثراً ، ولكن حذار أن تكتفى بالعطاء المعنوى إن كان بامكانك أن تعطى المادة أيضاً .

واشعر ـ عندما تعطى ـ انك تأخذ . إن السعادة التى يشعر بها قلبك حينما يحقق سعادة لغيره ، هى شىء كبير أسمى من أن يُقتنى بالمال .. إن راحة الضمير التى تأخذها ، وفرحة القلب برضى الناس ، كلها أمور أسمى من المادة قد أخذتها وأنت تعطى .. وستأخذ أعظم منها فى السماء .

وعندما تعطى لا تحقق كثيراً مع الذى تعطيه . وإلاّ كانت منزلتك هى منزلة قاض لا عابد .. لا تحقق كثيراً لئلا تُخجل الذى تعطيه ، وتريق ماء وجهه .

http://coptic-treasures.com

اعطه دون أن تشعره بأنه يأخذ .. حسن إنك قد أعطيته حاجته ، اعطه أيضاً كرامة وعزة نفس، ولا تشعره بذلة فى الأخذ .

وعندما تعطى انس أنك قد أعطيت . ولا تتحدث عما فعلته ، بل لا تفكر فيه . ولعل هذا هو ما يقصده السيد المسيح بقوله : « إذا أعطيت صدقة ، فلا تجعل شمالك تعرف ما تفعله يمينك » . وإن تذكرت قل لنفسك : « أنا لم اعط هذا الإنسان شيئاً ، بل هو الذى أعطانى فرصة لأسعد بهذا الأمر » .

إن الأم عندما تعطى ابنها حناناً ، إنما تسعد هى نفسها بهذا الحنان . وهى عندما ترضعه ، إنما تشعر براحة ، ربما أكثر من راحته هو فى الرضاعة . ذلك ان عمل الحب هو عمل متبادل يأخذ فيه الإنسان أثناء اعطائه لغيره .

وعمل الخير الذى لا تأخذ منه سعادة ، ليس هو خيراً على وجه الحقيقة . إن أجره ليس فيه ، وليس فيما بعد . انه عمل ضائع .

كذلك عندما تأخذ ، خذ من الله وحده ، وممَن يرسلهم الله إليك . وحاذر من أن تأخذ من الشيطان شيئاً ولا من جنوده .

إن الشيطان عندما يعطى ، يأخذ أكثر مما يعطيه .

قد يعطيك لذة الجسد ، و يأخذ منك كرامة الروح . وقد يعطيك الكرامة . و يأخذ منك الاتضاع ، وقد يعطيك الغنى ، و يأخذ منك الزهد ، و يعطيك الدنيا ، و يأخذ منك الأخرة و يعطيك اللهو والعبث ، و يأخذ منك الحكمة والرزانة . و يعطيك اللعب ، و يأخذ منك النجاح .. إنه يأخذ الجوهرة التى فيك ، و يعطيك القشور التى لها .

تخطىء إن ظننت أنك تأخذ منه شيئاً . إنك الفاقد ، ولست الآخذ ، ولست المعطى.

أما الله ، فإنه يعطى على الدوام ، و يعطى بسخاء ولا يعيّر ، و يعطى عطايا صالحة تليق بصلاحه .. إننا نعيش فى عطائه كل لحظة من حياتنا .

http://coptic-treasures.com

الذاتية .. وإنكار الذات

لا تظنوا أيها الأخوة الأحباء أن عبادة الأصنام قد تلاشت من الأرض. فهناك صنم خطير يكاد يعبده الكل .. انه الذات ..

كل إنسان مشغول بذاته، معجب بذاته، يضع ذاته فى المرتبة الأولى من الأهمية .. أو فى المرتبة الوحيدة من الأهمية .. يفكر فى ذاته، ويعمل من أجل ذاته، ويهمه أن تكبر هذه الذات، بل تصير أكبر من الكل، ويهمه أن تتمتع هذه الذات، بشكل اللذات، بأى ثمن، وبأى شكل.

هذه هى الذاتية، أو التمركز حول الذات ... وفيها يختفى الكل، وتبقى الذات وحدها .. فيها ينسى الإنسان غيره من الناس، أو يتجاهل الكل، وتبقى ذاته فى الصورة، وحدها ... ولا مانع من أن يضحى بالكل من أجل ذاته .. وان يفكر هذا الإنسان فى غيره، يكون تفكيره ثانوياً، فى المرحلة التالية لذاته، أو قد يكون تفكيراً سطحياً، أو تفكيراً عابراً ..

وإن أحب ذلك الإنسان الغارق فى الذاتية، فإنه يحب من أجل ذاته، ويكون مَن يحبه مجرد خادم للذاته ... هو لا يحب الغير من أجل الغير، وإنما يحب مَن يشبعه فى ناحية ما .. يحب مثلاً مَن يمدحه، أو مَن يقضى له حاجياته، أو مَن يُشبع له شهواته، أو مَن يحقق له رغبة معينة .. فهو فى الحقيقة يحب ذاته لا غيره. وما حبه لغيره سوى وسيلة يحقق بها محبته لذاته.

لذلك لا مانع عند هذا الشخص أن يضحى بهذا الحب إذا اصطدم بذاته ورغباته .. ولعل هذا يفسر لنا الصداقات التى تنحل بسرعة إذا ما اصطدمت بكرامة ذاتية أو غرض ذاتى ... ولعل هذا يفسر لنا أيضاً الزيجات التى تنتهى إلى الطلاق أو إلى

http://coptic-treasures.com

الانفصال بينما يظن البعض أنها قد بدأت بحب ، وبحب عنيف أو عميق ... قطعاً ان ذلك لم يكن حباً بمعناه الحقيقي ، لأن في الحب تضحية ، وفيه احتمالاً وبذلاً وعذراً للآخرين . والمحبة كما قال الكتاب : « تحتمل كل شيء » ...

إنما مثل هؤلاء الأشخاص كانوا يحبون ذواتهم فيما هم يتغنون بمحبتهم لغيرهم . **كان في محبتهم عنصر الذاتية ، لذلك ضحوا بهذه المحبة على مذبح الذاتية أيضاً** .. إن المحبة تصل إلى أعماقها حينما تتكلل بالبذل .. إن المحب الحقيقي هو الذي يضحي من أجل أحبائه بكل شيء ، ولو أدى الأمر أن يضحي بذاته .. وكما قال الإنجيل : « ليس حب أعظم من هذا ، أن يضع أحد نفسه عن أحبائه » ..

أما المحبة التي تأخذ أكثر مما تعطي ، فهي ليست محبة حقيقية ، إنما محبة للذات . كذلك المحبة التي تحب لتأخذ .. إنها تحب ما تأخذه ، ولا تحب مَن تأخذ منه .. لذلك كانت محبة الله محبة كاملة مثالية ، لأنها باستمرار تعطي دون أن تأخذ .. ولذلك أيضاً كانت محبة الأم لطفلها محبة حقيقية ، لأنها باستمرار تعطي وباستمرار تبذل ...

ولكن لعل إنساناً يسأل : ولماذا لا نحب ذواتنا ؟ وأية خطيئة في ذلك ؟ ومَن من الناس لا يحب ذاته ؟! إنها غريزة في النفس ..

نعم ، جميل منك أن تحب نفسك ، ولكن تحبها محبة روحية . تحب ذاتك من حيث ان تهتم بنقاوة هذه الذات وقداستها وحفظها بلا لوم أمام الله والناس .. وتحب ذاتك من حيث اهتمامك بمصيرها الأبدي ونجاتها من الدينونة الأخيرة حينما تقف أمام منبر الله العادل لتعطي حساباً عن أعمالها وعن أفكارها ونياتها ومشاعرها .. هذا هو الحب الحقيقي للذات .. الحب الذي يطهر الذات من أخطائها ومن نقائصها ، ويلبسها ثوباً من السمو والكمال .

وهناك شرط آخر لمحبة الذات الحقيقية ، ان الإنسان في محبته لذاته يحب جميع الناس ، ويكون مستعداً أن يضحي من أجلهم بكل ما يملك ، ولو ضحى بذاته أيضاً ..

لا يجوز لك أن ترتفع على جماجم الآخرين ، ولا أن تبني سعادتك على شقائهم ، أو راحتك على تعبهم ..

http://coptic-treasures.com

ضع مصلحة الآخرين قبل مصلحتك، وفضل خيرهم على خيرك. ودرب ذاتك كيف تضحى من أجل الناس، سواء شعروا بهذه التضحية، أو لم يشعروا، وسواء شكروا عليها أو لم يشكروا..

من هنا علمنا السيد المسيح فضيلة عظمى، وهى إنكار الذات ... وشرح لنا كيف أن الذى يحب أن يسير فى طريق الرب، عليه أولاً أن ينكر ذاته.

إن الشخص النبيل لا يزاحم الناس فى طريق الحياة، بل يفسح لهم مجالاً لكى يعبروا، ولو سبقوه... انه يختفى لكى يظهر غيره، و يصمت لكى يتكلم غيره، ويمدح غيره أكثر مما يمدح نفسه، و يعطى مكانه ومكانته لغيره، وإن كان بذلك يسعد نفسه من نفوس الناس...

إن الإنسان الكامل هو دائم التفكير فى غيره، ومحبة غيره، وصالح غيره، وأبدية غيره، وقداسة غيره...

أما ذاته فيضعها أخر الكل، أو يضعها خادمة للكل.. إنه لا ينافس أحداً من الناس. فطريق الله يسع الكل.. وهو يشعر بسعادة عميقة كلما أسعد إنساناً يجد سعادته فى سعادته، وراحته فى راحته، يجد فيهم ذاته الحقيقية. لا ذاته الشخصية.. إنه يفرح لأفراحهم، ولو كانت الآلام تحيطه من كل جهة.. وإن أصابهم ألم لا يستريح، وإن كانت وسائل الراحة تحت قدميه..

إنه شمعة تذوب لكى تضىء للآخرين ... لا تفكر فى ذاتها إنها تنقرض، إنما تنشغل بالآخرين كيف يستنيرون... وفى أنارتها للناس لا تفرح بأنها صارت نوراً، إنما تفرح لأن الآخرين قد استناروا... ذاتها لا وجود لها فى أهدافها.. ولو فكرت فى ذاتها، لما استطاعت أن تنير للناس...

إن أنجح الناس فى المجتمع هم الأشخاص المنكرون لذواتهم، وأكثر الناس فشلاً هم الأنانيون...

إن أنجح ادارى هو الذى يعطى فرصة لكل إنسان أن يعمل، و يشرف على الكل فى عملهم، و يبدو هو كما لو كان لا يعمل شيئاً بينما يكون هو مركز العمل كله. وأكثر إنسان محبوب فى العمل، هو الذى كلما نجح عمله، يتحدث عن مجهود فلان وفلان، و ينسب النجاح إلى كثيرين غيره، ويختفى هو كأنه لم يعمل شيئاً.. وكأنه

http://coptic-treasures.com

يفرح بنجاح غيره لا بنجاح نفسه..

إن الناس يفرحون بمَن يعطيهم فرصة ، وبمَن يقدرهم، وبمَن يشيد بجهودهم. أما الإنسان المتمركز حول ذاته، الذى يخفى الناس لكى يظهر هو، و يعطل كل الطاقات لكى يمجد طاقاته الخاصة، فإنه يفشل فى كسب محبة الناس، وقد يفشل العمل كله بسببه...

الإنسان المخلص يهمه أن ينجح العمل ، على أى يد تعمله. أما الأنانى فيهمه أن يتم النجاح على يديه، ولو أدى الأمر إلى تعطيل العمل كله. إن ذاتيته هى العقبة الكؤود التى تعرقل كل نجاح.

الإنسان المتمركز حول ذاته لا يفكر فى راحة غيره، سواء كان راحة فرد أو راحة المجتمع كله. ربما لا يهتم بالصالح العام، ولا بالنظام العام، وإنما يرضيه فقط أن يجد طريقه. لذلك فإن الانانيين هم أكثر الناس كسراً للقوانين.

الرجل الكامل ينكر ذاته فى علاقته بالناس، وأيضاً فى علاقته بالله.. وما أجمل قول المرتل فى المزمور: «ليس لنا يارب ليس لنا، ولكن لاسمك القدوس اعط مجداً».. إنه يبحث عن مجد الله وعن ملكوت الله أولاً وأخيراً.. يهمه أن يطيع وصية الرب، ولو أدى به الأمر أن يغضب ذاته، أو يضغط على نفسه، أو يضحى براحته. إنه يبذل ذاته من أجل وصية الله..

حتى فى صلاته، ينسى ذاته ويذكر الله ... إننى أتعجب إذ أجد كثيرين فى صلواتهم متمركزين حول ذواتهم... كل صلواتهم طلبات خاصة.. يزحمون الصلوات بطلباتهم ورغباتهم، وأيضاً بخطاياهم واعترافاتهم... أما الله وملكوته فلا يشغلهم فى الصلاة... ما أجمل ذلك المصلى الذى يقول فى صلاته: [مَن أنا يارب، التراب والرماد، حتى أتحدث عن ذاتى وطلباتى فى صلاتى. **أريد أن أنسى نفسى وأذكرك أنت، أريد أن أسبح فى جمالك غير المدرك، وفى كمالك غير المحدود** ... أريد أن أتأمل فى صفاتك الإلهية التى تبهرنى فأنس ذاتى.. وعندما أنسى نفسى، سأجدها فيك، فى قلبك الكبير المحب.. هذا القلب الذى احبه من أعماقى، والذى أود أن أحيا عمرى كله وأبديتى أيضاً متأملاً فى محبته، وحنوه، وعفوه، ورقته، وطول أناته، واشفاقه على الخطاة الذين أولهم أنا] ...

http://coptic-treasures.com

التواضع

هو الفضيلة الأولى

أريد فى هذا المقال أن أكلمكم عن فضيلة جميلة وأساسية وهى الاتضاع.

الاتضاع هو الفضيلة الأولى فى الحياة الروحية.

الاتضاع هو السور الذى يحمى الفضائل ويحمى المواهب، **وكل فضيلة خالية من الاتضاع، عرضة أن يختطفها شيطان المجد الباطل، ويبددها الزهو والفخر والاعجاب بالنفس.**

لذلك إذا أعطاك الله موهبة من مواهبه، ابتهل إليه أن يعطيك معها إتضاعاً، أو أن يأخذها منك، لئلا تقع بسببها فى الكبرياء وتهلك.

الاتضاع إذن هو الأساس الذى نبنى عليه جميع الفضائل.

ليس هو فضيلة قائمة بذاتها، إنما هو متداخل فى جميع الفضائل، مثله كالخيط الذى يدخل فى كل حبات المسبحة.

والله يعطى مواهبه للمتواضعين، لأنه يعرف أنها لا تؤذيهم. ويقول الكتاب المقدس إن الله يكشف أسراره للمتضعين.. هؤلاء الذين كلما زادهم الله مجداً، زادوا هم إنسحاقاً قدامه.

من أجل كل هذا دعانا الله جميعاً أن نكون متضعين. وقد كان الاتضاع والوداعة، إحدى سمات السيد المسيح البارزة التى حببته إلى الكل.. وقد وصفه الإنجيل المقدس بأنه كان: «وديعاً ومتواضع القلب».

http://coptic-treasures.com

وقد اتقن القديسون الاتضاع بصورة عجيبة ..

ولم يتواضعوا فقط أمام الله والناس ، بل حتى أمام الشياطين ، وهزموهم بهذا الاتضاع .

القديس العظيم الانبا أنطونيوس أبو الرهبنة كلها ، عندما كان الشياطين يحاربونه فى عنف ، كان يرد عليهم باتضاع قائلاً : [أيها الأقوياء ، ماذا تريدون منى أنا الضعيف ، وأنا عاجز عن مقاتلة أصغركم] !! وكان يصلى إلى الله قائلاً : [انقذنى يارب من هؤلاء الذين يظنون أننى شىء ، وأنا تراب ورماد] ... فعندما كان الشياطين يسمعون هذه الصلاة الممتلئة اتضاعاً ، كانوا ينقشعون كالدخان .

وفى إحدى المرات ظهر الشيطان للمتوحد الناسك القديس مقاريوس الكبير وقال له : " ويلاه منك يا مقاره ، أى شىء أنت تعمله ونحن لا نعمله ؟! أنت تصوم ، ونحن لا نأكل . وأنت تسهر ، ونحن لا ننام ، وأنت تسكن البرارى والقفار ، ونحن كذلك ، ولكن بشىء واحد تغلبنا " فسأله عن هذا الشىء . فقال له : " بتواضعك تغلبنا " ..

فى مرة أخرى أبصر القديس الانبا أنطونيوس فخاخ الشياطين منصوبة ، فألقى نفسه على الأرض أمام الله ، وصرخ قائلاً : [يارب ، مَن يستطيع أن يخلص منها ؟] فأتاه صوت يقول : [المتواضعون يخلصون منها] .

إن كان التواضع بهذه القوة التى تهزم الشياطين ، فما هو التواضع إذن ؟

التواضع هو أن تعرف ضعفك ، وأن تعرف سقطاتك وخطاياك ، وأن تعامل نفسك على هذا الأساس .

ليس التواضع أن تشعر بأنك كبير أو عظيم ، وتحاول أن تتصاغر أو أن تخفى عظمتك .. فشعورك بأنك كبير فيه نوع من الكبرياء . وشعورك بأنك تخفى عظمتك فيه إحساس بالعظمة ، إحساس بعظمة تخفيها عن الناس ، ولكنها واضحة أمام نفسك .

أما التواضع الحقيقى فهو تواضع أمام نفسك أولاً . شعور حقيقى غير زائف ، فى داخل نفسك ، إنك ضعيف وخاطىء حتى فى عمق قوتك تشعر أن القوة ليست منك ، إنما هى منحة سماوية من الله لك ، أما أنت فبطبيعتك غير ذلك .

http://coptic-treasures.com

اعرف يا أخى مَن أنت ، فهذه المعرفة تقودك إلى الاتضاع . إنك تراب من الأرض . بل التراب أقدم منك ، وجد قبل أن تكون . خلقه الله أولاً ، ثم خلقك من تراب .

أتذكر أننى ناجيت هذا التراب ذات مرة فى بضعة أبيات قلت فيها :

يا تراب الأرض يا جدى وجد الناس طرا
أنت أصلى ، أنت يا أقدم من آدم عمرا
ومصيرى أنت فى القبر ، إذا وسدت قبرا

بل انك يا أخى ، إذا فكرت فى الأمر باتضاع ، تجد أن هذا التراب لم يُغضب الله كما أغضبته أنت بخطاياك ..

لذلك أقول لك حقيقة هامة وهى :

إن المتواضع الوحيد هو الله .

الله هو الكبير الذى يتنازل ويكلمنا نحن الصغار ، وهو القدوس الذى يتنازل ويعاملنا نحن الخطاة .

أما نحن فالتواضع بالنسبة إلينا . ليس تنازلاً ، وإنما هو مجرد معرفة للذات .

إن عرفت هذا ، فعامل نفسك إذن بما تستوجبه هذه المعرفة ، ولا تطلب من الناس كرامة ولا مجداً . وإن حوربت بهذا الأمر، رد على نفسك وقل : [أنا لا أستحق شيئاً بسبب خطاياى .. وإن كان الله من فرط رحمته قد ستر خطاياى عن الناس ، ولكننى أعرفها جيداً ولا أنساها لئلا أتكبر باطلاً] ..

إحذر من أن تنسى خطاياك ، لئلا تنتفخ ، وتظن فى نفسك الظنون ، وتذكّر قول ذلك القديس الذى قال :

[إن نسينا خطايانا ، يذكرها لنا الله . وإن ذكرنا خطايانا ، ينساها لنا الله] .

اعترف بخطاياك أمام نفسك ، وأمام الله ، وإن استطعت فأمام الناس أيضاً .

http://coptic-treasures.com

وإن لم تستطع ، فعلى الأقل لا تمدح ذاتك أمامهم ، ولا تقبل مديحهم لك وإن سمعته أذناك ، فليرفضه قلبك وعقلك..

ولا تَسْعَ وراء الكرامة . وتذكّر قول مار إسحق :

[مَن سعى وراء الكرامة ، هربت منه ، ومَن هرب منها بمعرفة ، سعت وراءه] .

ولا يكن تواضعك مظهرياً ، أو باللسان فقط ، إنما ليكن تواضعاً حقيقياً من عمق القلب ، وبيقين داخلي ، ليكن تواضعاً بالروح .

وإن عشت بالتواضع ، ستحيا باستمرار فى حياة الشكر .. ستشكر الله على كل شىء وفى كل حال ، شاعراً على الدوام أن الله يعطيك فوق ما تستحق .

أما غير المتواضع ، فإنه يكون فى كثير من الأحيان متذمراً ومتضجراً ، شاعراً أنه لم ينل بعد ما يستحقه ، وأنه يستحق الكثير ، وأنه مظلوم ، من الناس ومن الله !!

والشخص المتواضع يعيش فى سلام مع الكل ، لا يغضب من أحد ، ولا يُغضب أحداً. لا يغضب من أحد ، لأنه باستمرار يلوم نفسه ، ولا يلوم الناس . ولا يُغضب أحداً ، لأنه يطلب بركة كل أحد وصلواته .

فلنكن جميعاً متضعين لكى نكون أهلاً لعمل الله فينا ، الله الذى لا يُحد الذى تنازل واهتم بنا ، له المجد الدائم إلى الأبد آمين .

http://coptic-treasures.com

حدثتكم فى مقال سابق عن التواضع ، واهميته فى الحياة الروحية، ومركزه بين الفضائل.

وأريد فى هذا المقال أن أتابع هذا الموضوع ، بالتحدث عن حرب عنيفة تقف فى سبيل الاتضاع ، وهى :

محبة المديح .. والكرامة

أول ملاحظة أقولها فى هذا الأمر هى أن :

التعرض لمديح الناس شىء ، ومحبة هذا المديح شىء آخر . قد ينال الإنسان مديحاً من الآخرين ولا يخطىء ، ولكنه إن أحب هذا المديح يكون قد أخطأ . إن الرسل والأنبياء والقديسين والشهداء والقادة الفضلاء، كل أولئك مدحهم الناس ولم يخطئوا .. إنما الخطأ أن يحب الإنسان ألفاظ المديح و يشتهيها وتشكل جزءاً من رغباته .

والقديسون فى كل جيل كانوا يهربون من المديح أياً كان مصدره، سواء أتاهم المديح من الناس أو من الشيطان أو من داخل أنفسهم.

وبعضهم كان يتمادى فى هذا الهروب ، و يبعد عن كل أسباب المديح وكل مناسباته ، حتى وصل الأمر إلى أن كثيراً من هؤلاء المتواضعين كانوا ينسبون إلى أنفسهم عيوباً ، وكانوا يتحدثون عن نقائصهم وأخطائهم أمام الناس ، ولا يدافعون عن خطأ ينسب إليهم حتى لو لم يكن فيهم .

http://coptic-treasures.com

أما محبو المديح ، فإنهم أنواع ودرجات :

١ - أقلهم خطأ هو الإنسان الذى لا يسعى إلى المديح ، ولكن إن سمع مديحاً من الناس فيه ، فإنه يُسر بذلك فى داخله و يبتهج ، وقد يبدو صامتاً لا يُشعرّ أحداً بما فى داخله من إحساسات .

٢ - نوع أخطر من هذا ، وهو حالة الإنسان **الذى يبتهج فى داخله من ألفاظ المديح التى يسمعها ، ويحاول أن يستزيد منها .** كأن يقول عبارات تجلب له مديحاً جديداً ، أو يجر الحديث إلى موضوعات مشرفة له ، أو يتمنع عن سماع المديح بألفاظ متضعة تجلب له المزيد من الثناء .

٣ - نوع ثالث أخطر من هذين هو حالة الإنسان الذى إذ يشتهى المديح ، يحاول أن **يعمل أعمال بر أمام الناس لكى ينظروه فيمدحوه.** وهذا النوع هاجمه السيد المسيح ، وقال عنه إنه : « إستوفى أجره » ولم يعد له أجر فى السماء . ودعا الناس أن يصلوا فى الخفاء ، وأن يخفوا عن أعين الناس صومهم وصدقتهم وكل أعمال برّهم . والله الذى يرى فى الخفاء ، هو يجازيهم علانية . **هؤلاء الذين يعملون البر فى الخفاء ، إنما يفعلون الخير حباً فى الخير ، وليس حباً فى المديح .**

٤ - هناك نوع رابع فى محبة المديح ، وهو أصعب من كل ما سبق ، وهو حالة الإنسان الذى لا يكتفى بوصول المديح إليه ، وإنما **يتطوع لمدح نفسه ، ويتحدث عن أعماله الفاضلة .** وهكذا يقع فى الزهو والتباهى والخيلاء .. وقد يتمادى فى هذا الأمر فيمدح نفسه بما ليس فيه .

٥ - نوع خامس أسوأ من كل ما سبق ، وهو حالة الإنسان الذى يشتهى المديح و ينتظره ، إذا لا يصل إليه ، **يكره مَن لا يمدحه ، و يعتبره عدواً قد قصر فى حقه** فلم يقدره ولم يعترف بفضله كما ينبغى . وقد يتمادى فى هذا الأمر فيتضايق أيضاً ممَن يمدحه ولكن ليس بالقدر الذى كان ينتظره ، وليس بالأسلوب الذى يُشبع نهمه إلى العظمة والفخر ..

مثل هذا الإنسان الذى يكره مَن لا يمدحه ، ماذا تراه يفعل بمَن ينتقده ؟!

إنه ولا شك لا يمكن أن يحتمل النقد ولا النصح ولا التوجيه ، وطبعاً لا يقبل التوبيخ

http://coptic-treasures.com

ولا الانتهار حتى ممّن هو أكبر منه كأب جسدى ، أو أب روحى ، أو معلم أو مرشد أو رئيس .. ويعتبر كل نصح أو توبيخ يوجه إليه ، كأنه لون من الاضطهاد يقابله بالتذمر أو بالاحتجاج أو بالثورة والغضب .

٦ ـ على أن أسوأ درجة لمحبة المديح فى نظرى ، هى حالة الإنسان الذى من فرط محبته للمديح يريد أن يحتكره لنفسه فقط ، فلا يطيق أن يسمع مدحاً فى شخص آخر ، وإلاّ فإنه يكره المادح ويحسد الممدوح ..! وهكذا يعتبر مَن يمدح شخصاً غيره عدواً له منحرفاً عن طريق صداقته ، يشبهه بحالة زوجة تحب رجلاً آخر غير زوجها .. وفى الوقت نفسه يحاول أن يقلل من شأن الشخص الآخر الذى سمع مدحاً فيه ، وربما يتهمه بتهم ظالمة ويسىء إلى سمعته ، لكى يبقى وحده ، ولا شريك له فى إعجاب الناس .

من كل هذا نرى أن محبة المديح تقود إلى رذائل عدة نذكر هنا بعضاً منها ..

أولاً ـ لا شك أن محب المديح يقع فى الرياء ، ويحاول أن يبدو أمام الناس فى صورة مشرفة نيّرة خيّرة غير حقيقته الداخلية ، وقد يتظاهر بفضائل هو بعيد عنها كل البعد .. قد يتظاهر بالصوم وهو مفطر ، وقد يتظاهر بالصفح وهو حاقد ، وقد يتظاهر بالحب وهو يدس الدسائس ..

ثانياً ـ قد يقع محب المديح فى الغضب وعدم الاحتمال : فيغضب من كل مَن يوجه إليه نقداً ، ومن كل مَن يخطىء له رأياً ، كما يغضبه مَن يمدح غيره أو يفضل أحداً عليه . وتكون الكرامة صنماً يتعبد له فى كل حين .. وقد تراه ثائراً فى أوقات كثيرة يصيح صارخاً : "كرامتى .. ومركزى .." .

ثالثاً ـ قد يقع محب المديح فى الحسد وفى الكراهية ، ولا يكون قلبه صافياً تجاه مَن يظن أنه ينافسه ، أو مَن يظن فيه أنه نال كرامة أو منصباً أو مديحاً هو أولى به منه .. وقد تعذبه الغيرة والحسد بسبب كل ذلك ، وقد يجره الحسد إلى أخطاء أخرى عديدة ..

رابعاً ـ قد يقع محب المديح فى حالة عدم الاستقرار ، فلا يثبت على حالة ، وإنما يختار لنفسه فى كل مناسبة الوضع الذى يجلب له مديحاً فى نظر مَن يقابله حتى لو كان عكس موقف سابق له أو ضد رأى أبداه من قبل لنوال مديح من آخرين .

http://coptic-treasures.com

خامساً ـ كثيراً ما يقع محب المديح فى الكذب أو المبالغة: فهو على الدوام يحاول أن يغطى أخطاءه ونقائصه بأكاذيب أو ألوان من التحايل، أو ينسب أخطاءه إلى غيره، و يظلم غيره لكى يتبرر هو.. وقد يكذب أيضاً حينما ينسب إلى نفسه مفاخر وفضائل ليست له، أو عندما يبالغ فى وصف ما يرفعه فى نظر الناس، محاولاً فى كل ذلك أن يخفى الآخرين لكى يظهر هو.

سادساً ـ وقد يقع محب المديح فى رذائل أخرى، كأن يدبر دسائس لمنافسيه فى الكرامة، أو يشتهى موت أحدهم لكى ينال مركزه، أو يسلك فى أسلوب التشهير بالغير لكى يبقى وحده فى الصورة...

وعموماً فإن محب المديح يخسر محبة الناس، لأن الناس تحب الإنسان المتواضع الذى يقدمهم على نفسه فى الكرامة، والذى يختفى هو لكى يظهروا هم، والذى يمدح كل أحد، ويحب كل أحد، ولا يعتبر أحداً منافساً له..

ومحب المديح لا يخسر الناس فقط، وإنما يخسر أيضاً أبديته، و يبيع السماء وأمجادها بقليل من المجد الباطل على هذه الأرض الفانية.. وكل الفضائل التى يتعب فى اقتنائها، يبددها بمحبة المديح، و يأخذ أجر تعبه على الأرض، ولا يستبقى له أجراً فى السماء..

ومحب المديح قد يقع فى خداع الشياطين التى إذ تراه مستعبداً لهذه الشهوة، تضلله برؤى كاذبة و بأحلام كاذبة و بظهورات خادعة، وتوحى إليه بأشياء تضيع نفسه.. أو قد تحاربه من جانب أخر فتدعوه بالغرور إلى درجات أعلى من مستواه يحاول إدراكها فلا يستطيع.. وتضربه بضربات يمينية وتشتت هدوءه، وتجعله يعيش فى قلق وفى جنون العظمة..

نطلب إلى الرب أن يعطينا جميعاً نعمة الاتضاع، فالمجد له وحده، وله العظمة وله القدرة... وما أجمل قول المرتل فى المزمور: **«ليس لنا يارب، ليس لنا، ولكن لاسمك القدوس اعط مجداً»**.. له المجد الدائم إلى الأبد آمين.

http://coptic-treasures.com

ما هى الصلاة، وكيف تكون؟

فى بدء السنة الجديدة وقف كثيرون يصلون، وارتفعت أكف الضراعة إلى الله..

ووسط صلوات الكثيرين، نريد أن نتحدث اليوم عن الصلاة: ما هى الصلاة؟ وكيف تكون؟ وهل هناك صلوات مقبولة، وأخرى غير مقبولة؟ وما شروط الصلوات المقبولة؟

إن الصلاة جزء من طبيعة الإنسان، كأنها غريزة فيه.. ومن هنا كان جميع الناس يصلون.. حتى أن الوثنيين أيضاً يعرفون الصلاة.. **إن القلب بدون الله يشعر بفراغ كبير.** فالله له وجود فى حياتنا، ليس هو معتزلاً عنا، يسميه الكتاب المقدس: «عمانوئيل» أى الله معنا.. ونلاحظ أن الطفل يقبل فكرة الله وفكرة الصلاة، بدون شرح، إنها فيه..

إن قلنا إن الإنسان اجتماعى بطبعه، نستطيع أن نطبق هذه القاعدة جسدياً وروحياً أيضاً.. فروح الإنسان تشتاق إلى الروح الكلى، وتجد لذة فى الالتقاء به والجلوس إليه..

الصلاة إذن هى اشتياق إلى الله.. روح الإنسان تشتاق إلى عشرة أخرى غير عشرة المادة.. وفى داخل كل منا اشتياق إلى غير المحدود. واشتياق آخر إلى مثالية عالية غير موجودة فى هذا العالم.. ومن هنا يلجأ الإنسان إلى الله ليشبع شوقه الروحى..

http://coptic-treasures.com

الصلاة هى أعمق ما فى الروحيات .. هى تفرغ القلب لله .. هى عمل الملائكة، وعمل الإنسان عندما يتشبه بالملائكة .. هى عمل النساك والمتوحدين الذين تركوا كل شىء من أجل محبتهم لله، ووجدوا فى هذه المحبة ما يكفيهم وما يغنيهم .

الصلاة هى راحة النفس . هى الميناء الهادىء الذى ترسو عنده النفس بعيداً عن أمواج العالم المتلاطمة . الصلاة هى واحة خضراء فى برية العالم القاحلة .. هى الوقت الذى تلتقى فيه النفس بمَن يريحها . تجد القلب الكبير الذى تأتمنه على أسرارها وتستطيع أن تحدثه بكل صراحة عن متاعبها وعن ضعفاتها وسقطاتها . وهى موقنة تماماً انه لن يحتقر سقوطها، بل يقابلها بكل حنو، ويعينها على القيام، ويشجعها ..

الصلاة هى خلوة النفس مع الله ، هى لقاء مع الله ، لقاء حب . هى التصاق بالله . هى تلامس قلب الإنسان مع قلب الله . هى تمتع النفس بالله .. وفى هذا قال داود النبى : « ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب » ، وقال أيضاً : « أما أنا فخير لى الالتصاق بالرب » ..

الصلاة هى صلة بالله ، وربما من هذا المعنى اشتق إسمها .. وهكذا يكون الإنسان فى حالة صلاة ، إن وجدت هذه الصلة ، وإن شعر بالوجود فى حضرة الله ، وإن أحس القلب انه قائم فعلاً أمام الله ، يتحدث إليه .. ليس المهم هو طول الصلاة ونوع الكلام بقدر ما تتركز الأهمية فى وجود صلة مع الله .. إن لم توجد هذه الصلة لا يعتبر الإنسان مصلياً ، مهما ركع ومهما سجد ومهما ظن انه كان يتحدث مع الله .. إن اللمبات الكهربائية مهما كانت قوية وجميلة ، فإنها تكون عديمة الفائدة ما لم يسر فيها التيار .. هكذا الصلاة ..

الصلاة هى تقديس للنفس ، هى رفع الفكر إلى الله ، ورفع القلب إلى الله . وعندما يرتفع الفكر إلى الله ، يبعد عن المادة وعن محبتها والإنشغال بها ، ويكون فى مستوى أعلى ، فى مستوى روحى ، **وهكذا يتطهر الفكر بالصلاة ويتنقى ، وكذلك القلب** .. ويدخل كلاهما فى جو آخر له سموه ، يدخلان فى عشرة الملائكة وأرواح

http://coptic-treasures.com

الأبرار. وبمثل هذه الصلاة تبطل الأفكار الرديئة، وتبطل طياشة الأفكار، وينجمع العقل فى الله.

وبالصلاة يصل الإنسان إلى ما يسميه القديسون « إستحياء الفكر » أى أن الفكر الذى تقدس بالصلاة يستحى من التفكير فى شىء ردىء. وهكذا يخجل الإنسان من أن يستضيف فى ذهنه فكراً شريراً فى الموضع الذى كان يوجد فيه الله فى العقل فى وقت الصلاة.. وبهذا تساعد الصلاة على حياة التوبة والنقاوة..

لكل هذا كانت الصلاة رعباً للشياطين .. فالشياطين يخافون جداً من عمل الصلاة، ويرونه سعياً لامدادات إلهية ومعونات سماوية تصل إلى النفس، فتحطم قوى الشياطين التى تحاربها. لذلك فان الشياطين تحاول بكل قوتها أن تعطل الإنسان عن عمل الصلاة، ونقصد الصلوات الروحية التى تخيفهم.. أما الصلوات الفاترة أو السطحية فلا يهتم الشيطان بمقاومتها. إنها لا تؤذيه..

إن الصلوات الروحية تسبب حسد الشياطين وتذكرهم بما فقدوه. وتشعرهم بالدالة الموجودة بين الله والإنسان فيتعبون.. ويحاولون أن يمنعوا الصلاة. فإذا أصر الإنسان على الصلاة، يحاول الشياطين أن يشتتوا فكره، ويقدموا له تذكارات ومشاغل وأفكاراً ليجذبوه إلى شىء آخر بعيداً عن الحديث مع الله.

الصلاة هى طعام الروح، هى غذاء الملائكة. هى عاطفة مقدسة تغذى القلب.. بل فى أثنائها قد ينسى الجسد أيضاً طعامه، ولا يشعر بجوع. ومن هنا كان ارتباط الصوم بالصلاة. فعندما تتغذى الروح بالصلاة، يمكنها أن ترفع الجسد معها وتشغله عن التفكير فى طعامه، وتعطيه طعاماً آخر. وبهذا تستطيع الروح أن تحمل الجسد..

الصلاة هى حركة القلب، حتى بدون **كلام** .. إن الصلاة ليست مجرد حديث. فقد تكون خفقة القلب صلاة، وقد تكون دمعة العين صلاة، وقد يكون رفع البصر إلى فوق، أو رفع اليدين نوعاً آخر من الصلاة.. إن الله يفهم اللغة التى نخاطبه بها خارج حدود الألفاظ، كالأب الذى يدرك مشاعر ابنه وطلباته دون أن يتكلم.. وهكذا يقول داود النبى لله: « انصت إلى دموعى ». ذلك لأن دموعه كان لها صوت خفى يسمعه الله..

http://coptic-treasures.com

الصلاة هى تسليم حياتنا لله ، هى اشراكه فى حياتنا ، هى رفض من الإنسان أن يستقل بحياته بعيداً عن الله. فبالصلاة نطلب من الله أن يتدخل فى حياتنا ، و يدبرها حسب مشيئته الصالحة الطوباوية ، معلنين فى اتضاع أمام الله أننا لا نستطيع أن نعتمد على أذهاننا وحدها ، واننا بدون الله لا نقدر أن نعمل شيئاً . ..

إن الصلاة شرف عظيم ، بها نصعد إلى الله ، وبها نتلاقى معه ، نحن التراب والرماد .. وبالصلاة تتحول النفس إلى سماء وتتمتع بالوجود فى حضرة الله. والعجيب أنه مع هذا الشرف العظيم الذى للصلاة يمتنع البعض عن الصلاة ، يمتنع التراب عن مخاطبة رب الأرباب خالق السماء والأرض الكلى القدرة..

ليست الصلاة تفضلاً منا على الله ، كما لو كنا نعطى الله شيئاً من وقتنا أو من مشاعرنا. وليست هى ضريبة يفرضها الله علينا. وليست هى عملاً نُغصب عليه بأمر سماوى. كلا ، إنما الصلاة هى أخذ لا عطاء. بها نأخذ من الله بركات وعطايا ومواهب دون أن نعطيه شيئاً . وإن كنا نقدم لله وقتاً أو نقدم له قلباً ، فإنما لكى يملأ هذا القلب من محبته ، و يقدس هذا الوقت ببركته.. ان اعتقادنا الخاطىء فى أن الصلاة اعطاء هو الذى يجعلنا فى كبرياء وتمنع . نقصر فى ادائها ، اقصد : نقصر فى حق أنفسنا أولاً وقبل كل شىء ، لأننا نحن المستفيدون من الصلاة وليس الله . فلنحاول أن نصلى ، لكى نأخذ بركة ومعونة ، ولكى نتمتع بالله ، ولكى تتقدس قلوبنا وحياتنا كلها . وإن صلينا ، ليتنا نعرف كيف نصلى ، وكيف نخاطب الله الذى له كل مجد وكرامة وعزة إلى الأبد آمين .

http://coptic-treasures.com

الإيمان العملي

أيها القارىء العزيز :

لا شك أنك تعتقد فى نفسك أنك شخص مؤمن وأن أيمانك بالله ليس هو موضع سؤال .

فهل اختبرت اعتقادك هذا فى ضوء «الإيمان العملى» ؟!

ولعلك تسأل :

وما هو الإيمان العملى ؟

وللاجابة على هذا السؤال نقول : إن كثيرين يؤمنون بالله إيماناً نظرياً ، إيماناً فكرياً ، إيماناً يختص بالعقل فقط ولا يتعدى نطاق العقل..

أما الإيمان العملى ، فهو الإيمان الذى تظهر ثماره وعلاماته واضحة فى حياة الإنسان ، بحيث تشهد أعماله وأقواله وسلوكه انه شخص مؤمن.. لهذا يسأل القديس بولس الرسول و يقول: «لنختبر أنفسنا هل نحن فى الإيمان» . ولتوضيح هذا الأمر سأضرب بضعة أمثلة :

أنت تؤمن أن الله موجود ، وأنه عادل ، وأنه يحكم للمظلومين ، لماذا إذن تخاف ؟ ولماذا تضطرب ؟ وهل خوفك يدل على أنك شخص مؤمن ؟!

إن داود النبى يقول : « الرب نورى وخلاصى ، ممَن أخاف ؟ الرب عاضد حياتى ، ممَن أجزع .. إن يحاربنى جيش ، فلن يخاف قلبى . وإن قام علىَّ قتال ، ففى ذلك أنا مطمئن .. » .. داود النبى يؤمن أنه فى رعاية الله ، حمل صغير فى غنم رعيته ،

http://coptic-treasures.com

ولذلك يخاطب الله قائلاً : « إن سرت فى وادى ظل الموت فلا أخاف شراً ، لأنك أنت معى .. عصاك وعكازك هما يعزيانني » ..

حقاً ، إن القلب المؤمن لا يخاف . الإنسان المؤمن الذى يثق برعاية الله له ، لا يمكن أن يخاف . إن الخوف دليل عملى على ضعف الإيمان .. ضعف الإيمان برعاية الله ، وحمايته ، وحفظه ..

إن المؤمن ينصت إلى صوت المزامير وهى تشجعه بقول الوحى الإلهى : « فلا تخش من خوف الليل . ولا من سهم يطير بالنهار.. يسقط عن يسارك ألوف ، وعن يمينك ربوات . وأما أنت فلا يقتربون إليك بل بعينيك تتأمل ، ومجازاة الخطاة تبصر » .

لهذا استطاع القديسون أن يواجهوا الأخطار بقلوب مملؤة بالسلام لا تعرف للخوف معنى .. وإن ضغطت عليهم الضيقات ، وإن بدا أن أعداءهم أكثر قوة وعدداً ، يرن فى آذانهم القول الإلهى : « أنا معكم ، لا تخافوا » « الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » « إن الذين معنا أكثر من الذين علينا » .. عاش آباؤنا فى البرارى والقفار ، فى وسط الوحوش والحيات والعقارب ودبيب الأرض ، ولم يخافوا .. وتعرضوا لهجمات الشياطين وحروبهم ، ولم يخافوا .. كانوا مؤمنين بعمل الله معهم ، وعمل الله من أجلهم ..

لذلك إن حاربك الخوف ، وبخ ذاتك وقل : أين إيمانى ؟! اشعر باستمرار ، بأن الله موجود ، وانه يعمل ، وأنه يحمى السائرين فى طريقه ، يحميهم من الأخطار التى يرونها ، ومن الأخطار الخفية التى لا يعرفونها .. هو يدافع عنا أكثر من دفاعنا عن أنفسنا .. ولكنه دائماً يتدخل فى الوقت المناسب فى الوقت الذى تحدده حكمته الازلية . فإن حاربك الخوف بسبب أن المعونة الإلهية بدت متباطئة فى الوصول إليك ، فلتتشجع بقول داود النبى فى المزمور : « انتظر الرب ، تقو وليتشجع قلبك ، وانتظر الرب » ..

حالة واحدة تخاف منها . عندما تشعر أن الله قد تخلى عنك بسبب خطاياك .. وحتى فى هذه الحالة يستطيع المؤمن أن يجد حلاً إذ يشعر أنه بالتوبة يصطلح مرة أخرى مع الله ، و يعود الله إليه ، وتعود معونته . والتوبة فى مقدور كل إنسان : يكفى أن يندم من كل قلبه ، و يرفع قلبه إلى الله فى إنسحاق .. وإذ يشعر برجوع الصلة ، يزول الخوف و يطمئن ..

http://coptic-treasures.com

الإنسان المؤمن لا يخاف . والإنسان المؤمن حقاً ، لا يخطىء . إنك قد تخجل من أن ترتكب خطيئة أمام أحد معارفك ، أو أمام من توقرهم فى داخلك ، فكم بالأولى أمام الله !!.. إن الذى يضع الله أمام عينيه ، لا شك أنه سيستحى أن يخطىء قدامه .. مثلما عرضت الخطية على يوسف الصديق ، فقال : « كيف أخطىء ، وأفعل هذا الشر العظيم أمام الله » ؟!..

أؤكد لكم أننا فى كل مرة نخطىء ، نكون قد نسينا الله ، نسينا أنه يرانا ويبصر ما نفعله ، وهكذا يكون إيماننا فى وجود الله قد ضعف .. فى كل مرة نظلم غيرنا ، نكون قد نسينا الله العادل ، وفقدنا الإيمان بالله الذى يحكم للمظلومين .. فى كل مرة نفعل ما لا يليق ، لا تكون صورة الله واضحة أمام أعيننا ..

إن الإنسان المؤمن لا يخطىء ، ليس فقط لإيمانه بأن الله يراه ، وإنما أيضاً لإيمانه بأن الله سيحاسب وهو الديّن الذى لا مهرب منه ..

لهذا كان الاباحيون يحاربون باستمرار فكرة وجود الله ، ويتخذون الله عدواً لهم ، وتقود الاباحية إلى الالحاد .. أما المؤمنون فتظهر ثمار إيمانهم فى حياة العفة والطهارة والقداسة التى يسلكون فيها ، وبها يشعر الناس أنهم مؤمنون . ولذلك قال السيد المسيح : « من ثمارهم تعرفونهم » . فإن كنت تسلك فى الخطية فلا تفتخر باطلاً ، وتقول إنك إنسان مؤمن !! لئلا تكذّبك أعمالك ، وتقف شاهدة ضدك !..

إن الإيمان كما قلت من قبل ، ليس مسألة عقلية أو نظرية ، إنما يدخل فى الحياة العملية ، ويصبح إيماناً عملياً ، تسمى الحياة فيه « حياة الإيمان » .

الإيمان إذن يتعارض مع الخوف ، ويتعارض مع الخطيئة والشر .. هو أيضاً يتعارض مع التذمر والضجر .

أنت تؤمن بالله . حسناً تفعل . فهل تؤمن أن الله يصنع معك خيراً ؟ إن كنت تؤمن بهذا فلماذا تتذمر ؟ ولماذا لا تحيا فى حياة الرضا والشكر ؟

إن المؤمنين يحيون باستمرار فى حياة الشكر ، يشكرون الله فى كل حين ، على كل شىء .. يقبلون كل شىء من يد الله فى رضى وفى فرح ، لا يتذمرون ولا يتضجرون .. هم يؤمنون أن الله ضابط للكل ، وانه يملك زمام الكون كله ، ويدبر أموره

http://coptic-treasures.com

حسب مشيئته الإلهية الصالحة . لذلك هم مطمئنون إلى عمل الله .. ما يعمله الله خير ومقبول . وكل ما يشاؤه الله هو نافع ومفرح . فلتكن مشيئته ..

المؤمنون لا يضعون مشيئة الله تحت مقاييس حكمتهم البشرية ، إنما يخضعون حكمتهم البشرية لمشيئة الله ، و يقبلون مشيئة الله فى غير تذمر شاعرين أنها لصالحهم مهما كانت تبدو غير ذلك .. وحقاً كم من أمور تضايق منها الناس فى بادىء الأمر، ثم اثبتت لهم الأيام أنها كانت خيراً و بركة .. لذلك فان المؤمن يحيا باستمرار فى حياة التسليم .

حتى إن كان الأمر الذى يحدث للمؤمن هو شر واضح ، فإنه لا يتذمر، شاعراً بالإيمان أن الله قادر أن يحول الشر إلى خير.. إن اخوة يوسف صنعوا به شراً ، وامرأة فوطيفار الزانية فعلت به هى أيضاً شراً ، وقادته إلى السجن . ولكن الله حول ذلك الشر إلى خير.. كم من أمور يريد بها الناس ضررنا ، ولكن هذه الأضرار فى طريقها إلينا تمر على يد الله صانعة الخيرات ، فتحول الضرر إلى خير.. فلنكن إذن مطمئنين شاعرين بالإيمان أن حياتنا فى يد الله ، وليست فى أيدى الناس ، ولنقل باستمرار تلك الآية الجميلة المعزية التى يقول فيها الوحى الإلهى : « كل الأشياء تعمل معاً للخير، للذين يحبون الرب » .

الإيمان إذن يتعارض مع الخوف ، ومع الخطيئة ، ومع التذمر .. وهو أيضاً بالأكثر يتعارض مع اليأس .. ألست تؤمن أن الله قادر على كل شىء ؟ آمن إذن أن الله قادر على حل جميع إشكالاتك ، وقادر على إزالة جميع متاعبك . لا داعى إذن لليأس ، فهو لا يتفق مع الإيمان .. وقل لنفسك باستمرار: "عند الله لكل مشكلة حل ، أو حلول . وهو قادر على كل شىء" «غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله » ..

لهذا نجد أن رجل الإيمان بشوش باستمرار ، فرح القلب ، مهما أحاطت به المتاعب لا يحزن ولا يكتئب ولا ييأس ..

إنه يعيش فى الحل الآتى ، وليس فى المشكل الحاضر. يجعل الله بينه وبين المتاعب فتختفى المتاعب ، ولا يضع المتاعب بينه وبين الله ، لئلا يختفى إيمانه بالله .

http://coptic-treasures.com

التوبة

توجد موضوعات روحية تخص مجموعة معينة من الناس دون مجموعة أخرى . على أن هناك موضوعاً يخص الكل ، مهما حاول البعض أن ينكر احتياجه إليه. أما هذا الموضوع فهو التوبة ..

كل إنسان يحتاج إلى التوبة . لأنه لا يوجد أحد بلا خطية . الكل معرض للخطأ . والذى يقول إنه لا يخطىء هو بغير شك واحد من اثنين : إما أنه إنسان لا يحاسب نفسه جيداً ، وإما أن مقاييسه الروحية فى حاجة إلى تعديل .

شعور الإنسان باحتياجه إلى التوبة ، هو دليل صحة نفسية ، دليل على أنه يريد أن يُصلح حاله ويُنقى قلبه . أما الذى لا يشعر بحاجته إلى التوبة ، فلا بد انه سيبقى فى أخطائه ، تمنعه كبرياؤه من الاعتراف بالخطأ ... إنه بار فى عينى نفسه ، ولكنه ليس باراً أمام الله وأمام الناس ... حتى أن القديسين أنفسهم كانوا يجاهدون من أجل التوبة ، ولكن فى مستويات عليا غير المستويات العادية ...

إن كان الأمر هكذا ،

فما هى التوبة إذن ؟

ليست التوبة هى مجرد ترك الخطية وعدم السلوك فيها ... فكثيراً ما يحدث أن يترك الإنسان الخطية لأسباب غير روحية ، يتركها ليس محبة للبر ، وليس لمحبته لله وإنما لأسباب أخرى ، يكون فى خلالها خاطئاً دون أن يخطىء .

فقد يبتعد الإنسان عن الخطيئة أحياناً بسبب الكبرياء ، أو بسبب العناد ، أو بسبب الخجل ، أو بسبب الخوف : الخوف من أن يُضبط ، أو الخوف من النتائج . أو

http://coptic-treasures.com

بسبب أن الفرصة لم تكن متاحة ، أو بسبب أن الخطية متعذرة أو رافضة ... وقد يرفض الخطية من أجل التظاهر بالبر أو من أجل مديح الناس ...

وفى كل هذه الحالات لا تكون الخطية فى سلوكه ، وإنما قلبه ... هو يريد ولكنه لا يفعل ... والله فاحص القلوب والأفكار ، يعرف تماماً أن مثل هذا الإنسان ليس تائباً . إنه لايزال فى حياة الخطيئة ، ولا تزال للخطية سيطرة عليه ، وإن كان لا يخطىء بالفعل ...

إن التوبة هى حالة تغيير فى القلب . هى نقطة تحول فى حياة الإنسان ... هى تجديد للقلب .. هى حياة جديدة يحياها الشخص تختلف اختلافاً كلياً عن حياته الأولى فى السقوط .

وقد يتغير إنسان ويسير فى الفضيلة ، ولكنه لا يعتبر تائباً إلاّ إذا استمر فى حياة الفضيلة دون أن يرجع إلى الوراء . فكثيرون يظنون أنهم تابوا ، وأن حياتهم قد تجددت ، ويستمرون فى هذا الوضع الجديد مدة ، ثم تحدث لهم نكسة روحية ، فيرجعون إلى أخطائهم ، والبعض يقومون ثم يسقطون ، ثم يقومون ويسقطون . وفى هذه الذبذبة لا نستطيع أن نقول إنهم تابوا ... ربما يكونون فى مجرد محاولات للتوبة ...

إن ترك الخطية ولو إلى فترة ، ليس هو التوبة الحقيقية ...

فقد يبعد الشخص عن الخطية ، أو تبعد الخطية عنه ، ليس لأنه قد صار باراً ، وإنما لأنه فى هذه الفترة بالذات غير محارب بهذه الخطيئة بالذات ...

إن الشيطان ذكى فى حروبه ، يعرف متى يحارب ، وكيف يحارب ، وبأية خطيئة يحارب الإنسان . وإن وجد الإنسان مستعداً استعداداً كاملاً ومتحفزاً كل التحفز لمواجهته فى ميدان معين ، قد يترك هذا الميدان ويحاربه فى موقع آخر .

فإن وجدت نفسك مستريحاً فترة ما من خطيئة معينة ، لا تظن أنك قد صرت نقياً من جهتها . ربما يكون الشيطان قد تركك إلى حين ريثما يعد لك كميناً فى موضع آخر ، ثم يرجع إلى محاربتك مرة أخرى على حين فجأة بهذه الخطيئة التى ظننت أنك قد تبت عنها . لذلك كن حريصاً باستمرار ، يقظاً باستمرار ، مستعداً باستمرار ، لأنك لا تعرف فى أية ساعة أو بأى شكل تأتيك الحروب الروحية ..

http://coptic-treasures.com

وقد تستريح فترة من خطيئة معينة بالذات، ليس لأنك تبت عنها، وإنما بسبب شفقة الله عليك. أراد لك فترة راحة حتى لا تكل فى الجهاد، أو لكيلا تقع فى اليأس... وربما تكون الخطيئة قد بعدت عنك بسبب صلوات بعض القديسين الذين تشفعوا فيك أن يمد لك الله يد المعونة حتى لا تسقط. ربما تكون القوة الحافظة المحيطة بك هى التى دافعت عنك، ولا يكون قيامك راجعاً لتوبة..

هناك إذن فرق كبير بين إنسان منتصر فى حياته الروحية، وإنسان غير مُحارب. وتظهر التوبة على حقيقتها إذا حوربت فانتصرت. وقد ينتصر إنسان فى حرب خفيفة ولكنه يضعف و يسقط إذا كان أغراء الخطيئة شديداً وقاسياً. أما التائب الحقيقى فهو رجل الله الذى يُحارب حروب الرب فى عنفها و ينتصر. تضغط عليه الخطية فى أشد إغراءاتها، وفى أقسى صورها، وفى أقصى حدودها، و ينتصر. و يستمر أمامه الأغراء، و يستمر فى نصرته... مثل يوسف الصديق...

هذه هى التوبة. إنها حياة النصرة. حياة الإنسان الذى يجاهد من أجل الرب وينجح. حياة القلب الذى يرفض الخطية مهما ضغطت عليه...

ترك الخطية هو بداية حياة التوبة. أما كمال التوبة فليس هو ترك الخطية، وإنما هو كراهية الخطية. وقد يكره الإنسان الخطية أحياناً بعض الوقت اشمئزازاً منها أو كرد فعل لبشاعتها، ثم يرجع بعد حين، بعد زوال هذا الانفعال فيشتاق إليها مرة أخرى. ليست هذه هى التوبة. إنما التوبة هى كراهية حقيقية للخطية، كراهية دائمة بسبب أن هذه الخطية لم تعد تتفق اطلاقاً مع طبيعة الإنسان الجديدة التى تجددت بالتوبة...

على أن كراهية الخطية هى حالة سلبية. أما الحالة الإيجابية فهى محبة الله. والتوبة الحقيقية هى النتيجة الطبيعية لدخول محبة الله فى القلب. إنها استبدال شهوة بشهوة. إنها حلول شهوة البر محل شهوة العالميات. حلول الله محل العالم فى قلب الإنسان.

التوبة هى الدرجة الأولى فى السلم الروحى. منها يرتقى الإنسان درجة درجة فى حياة القداسة والنقاوة حيث يصل أخيراً إلى الكمال. والكمال هو قمة الدرج الروحانى...

http://coptic-treasures.com

وهذه القداسة ، وهذا الكمال ، لا يعلنهما الله للإنسان دفعة واحدة ، لئلا يقع فى صغر النفس ، و يرى أنه ليس من السهل عليه الوصول ..

الكمال كالأفق ، هو آخر ما تصل إليه رؤيتك . عنده ترى السماء والأرض متعانقتين. فإذا ما وصلت إليه ترى افقاً آخر فى انتظارك بعيداً عنه . وعندما تصل إلى هذا الأفق الآخر تتطلع إلى افق أبعد .

وتظل تنتقل من افق إلى فوق ، ترقى من كمال إلى كمال أعلى . وأعلى ما يصل إليه الإنسان من كمالات هو جهالة بالنسبة إلى كمال الله الذى فيه يتركز الكمال الذى لا يحد، له المجد فى كماله إلى الأ بد ، آمين .

محاسبة النفس

هناك فضيلة تلزم لكل إنسان ، أيآ كانت درجته ، وبدونها ما أسهل أن يضل وأن ينحرف هذه الفضيلة هى محاسبة النفس .

أليس من العار أن نجتهد كثيراً فى محاسبة غيرنا من الناس ، بينما أنفسنا لا نحاسبها !!

نفترض مثاليات عالية نضعها أمام الاخرين ، وإن تخلفوا عنها ولو قليلاً ، ننصب لهم الموازين ، ونكيل لهم الاتهامات ، ونحاسبهم حساباً عسيراً ، كأننا مسئولون عن كل أعمالهم .. أما أنفسنا ، فنادراً ما نضعها تحت الحساب .

http://coptic-treasures.com

بينما فى حقيقة الأمر نحن أقدر على محاسبة أنفسنا لا غيرنا .. أنفسنا معنا فى كل حين، نعرف جميع خباياها، وجميع نواياها، وجميع ظروفها وأحوالها، ونعرف كل أعمالها وأفكارها، لذلك نحن نقدر على محاسبتها، ونكون عادلين فى حسابنا، لأنه من معرفة يقينية أما غيرنا، فلا نعرف دواخله، ولا نعرف ظروفه وقد نظلمه فى حكمنا. وما أصدق قول الكتاب: «لا يعرف الإنسان إلاّ روح الإنسان الساكن فيه» .. فليتنا نحاسب أنفسنا لا غيرنا...

ليتنا نحاسب أنفسنا بدلاً من أن يحاسبنا الناس. ما أجمل قول القديس مقاريوس الكبير: [احكم يا أخى على نفسك، قبل أن يحكموا عليك] .. و يقيناً أننا لو حاسبنا أنفسنا، وعرفنا أخطاءنا، سوف لا نتضايق من محاسبة الناس لنا، وسوف لا نغضب منهم، بل نقول ـ ولو فى داخلنا ـ «نحن بعدل جوزينا» ..

بل ليتنا نحاسب أنفسنا، قبل أن يحاسبنا الله فى اليوم **الأخير.** إن محاسبتنا لأنفسنا، تقودنا إلى التوبة، إذ ندرك واقع سقطاتنا فنتوب عنها ونتركها، والتوبة تمحو الخطايا، وتستمطر مراحم الله، وتوقفنا بلا دينونة فى اليوم الأخير..

ومحاسبة النفس تقود الإنسان إلى الاتضاع، وتبعد عنه الغرور والكبرياء .. إنما يتعجرف الإنسان الذى لا يدرى حقيقة ذاته، ولا يعرف نقائصه وعيوبه .. أما الذى يحاسب نفسه، وتنكشف أمامه خطاياه وسقطاته وضعفاته، حينئذ يدرك أنه أقل بكثير مما كان يظن فى نفسه، وتتضع نفسه من الداخل وان حاولت أن ترتفع يذكرها بما اكتشفه فيها من عيوب...

ولكن كل ذلك يتم، إن كنا دقيقين فى محاسبتنا لأنفسنا، غير مجاملين لها، وغير ملتمسين لها الأعذار فى كل شىء...

حقاً، ينبغى أن نكون حازمين فى محاسبتنا لأنفسنا. ولا يصح أن نغطى كل ذنب بعذر، ولا يصح أن نبرر ذواتنا فيما نرتكبه من أخطاء، لا يصح أن نلقى اللوم على الظروف أو على الآخرين أو على الضعف البشرى، ولا ان نخفى خطايانا وراء نيات حسنة. بل نكون صرحاء مع أنفسنا، غير مجاملين لها، ولا مدللين لها ..

http://coptic-treasures.com

فلنكن مدققين جداً فى محاسبتنا لأنفسنا ، عطوفين جداً فى محاسبة الآخرين. لاننا لا نعرف ظروف الآخرين ، فربما يكون لهم عذر . كذلك لا نعرف تكوينهم النفسى والعصبى، ولا نعرف كل ظروفهم العائلية والاجتماعية والصحية والوراثية. أما من جهة أنفسنا ، فندرك أنها بلا عذر، ونعرف تماماً مقدار الإرادة الخاطئة فى عملها ، ومقدار تدخل الظروف...

وفى محاسبتنا لأنفسنا ، ينبغى أن نحاسبها على كل شىء .. على العمل الخاطىء ، وعلى مجرد النية الخاطئة ، وعلى أخطاء الفكر والحس واللسان والشعور، وكل شىء .. ونحاسبها أيضاً على علاقتها بالله وبالناس.. ونحاسبها على مدى النمو فى حياتها الروحية . لا يكفى أن يكون الإنسان بعيداً عن الخطية ، إنما يجب أن يكون سائراً فى الفضيلة ونامياً فيها .

ينبغى أن نحاسب أنفسنا فى ضوء مقاييس الكمال المطلوب منا . وهنا نوضح انه كلما كان الإنسان نامياً فى معرفته الروحية دارساً لحياة القديسين والأبرار، متعمقاً فى فهم الفضيلة ، فعلى هذا القدر يكون مستوى محاسبته لنفسه عالياً . إن أصحاب القامات الروحية العالية يحاسبون أنفسهم على أخطاء قد لا يراها غيرهم أخطاء ، ولكنها فى نظرهم كذلك بحسب نموهم الروحى .

إن الله أعطى لكل منا ضميراً يحاسبه . وبعضنا يحاول أن يسكت هذا الضمير، وبعضنا يحاول أن يميته ، وبعضنا يهرب منه ، وبعضنا يحاول أن يتحايل على ضميره بحيل عقليه لتبرير مسلكه .. ولكن الإنسان الصالح هو الذى يخضع لتوجيهات ضميره ويحنى نفسه لمحاسبته ، بل يجعل هذا الضمير يستنير أكثر وأكثر، و يكون مرهفاً أكثر وأكثر، بالمداومة على القراءة الروحية والتأمل فى الفضائل...

لذلك ننصحك باستمرار أن تكون رقيباً على نفسك . لا تجعل شيئاً من تصرفاتك أو من نواياك يفلت من مراقبتك . لا تترك دوامة المشغوليات تجرفك وتجعلك تنسى نفسك ، فتقلل من مراقبتك لها . واتبع هذه المراقبة ، بمحاسبة ، وبمعاقبة ، إن استلزم الأمر...

قل لنفسك ما يخجل الناس من قوله لك . ربما تجرحك كلمة صريحة يواجهك بها الغير، ولكنك تستطيع أن تقول هذه الكلمة لنفسك . بل تستطيع أن تبكت ذاتك ،

http://coptic-treasures.com

وأن توبخ ذاتك ، وان تقوّم ذاتك وتؤدبها ، فهى تخضع لك...

لا تترك نفسك على هواها ، تسير حسبما تشتهى ، دون رقيب أو مؤدب ... واعرف أنك خير قاضٍ يحكم على نفسك ، واعرف أن الشخص المجتهد فى محاسبة نفسه ، إنما هو الشخص الحريص على خلاص نفسه ، الحريص أن يحفظ ذاته نقياً من كل شائبة ومن كل لوم..

ومحاسبة النفس تقود إلى الصلاة وإلى الاعتراف .. إن حاسب الإنسان نفسه ، ووجدها قد أخطأت إلى الله أو إلى الناس ، عليه أن يسكب ذاته أمام الله ويعترف له بهذا الخطأ ، ويطلب منه المغفرة ، ويطلب منه أيضاً القوة على تجنب هذا الخطأ . وعليه أيضاً أن يعترف لمن أخطأ إليه حتى يكسب رضاه ويصفى قلبه من جهته .. إلى باقى عناصر الاعتراف الأخرى ...

ولعل البعض يسأل : متى يتاح للإنسان أن يحاسب نفسه ! إن البعض يحاسب نفسه فى مناسبات معينة ، كأن يجلس فى بداية سنة جديدة ويحاسب ذاته على سلوكه خلال السنة الماضية كلها ، والبعض قد يحاسب نفسه قبل الذهاب إلى الاعتراف . والبعض يحاسب نفسه فى نهاية كل يوم ، قبل أن ينام . والبعض يحاسب نفسه على كل فعل بعد هذا الفعل مباشرة ، قبل أن يفقد تأثيره..

ولكن أفضل الناس هو الذى يحاسب نفسه على العمل قبل أن يعمله . فيسأل نفسه : أيجوز لى أن أفعل كذا أو أن أقول كذا ؟

وإن فعلت هذا الأمر ألاَّ أرتكب كذا وكذا من الإثم ؟ وهكذا يتجنب الفعل الخاطىء ، ويتجنب ما قد يسببه هذا الفعل من نتائج لا تليق...

إن محاسبة النفس تقود الإنسان إلى حياة البر ، أو على الأقل إلى حياة التوبة . وفى أقل القليل تقوده إلى حساسية الضمير وإلى يقظة القلب وإلى التواضع والانسحاق .

http://coptic-treasures.com

لا تغط أخطاءك بالأعذار

فى حياتك الروحية : واجه الواقع ... كن
صريحاً مع نفسك ، ومع الناس ... وإن
أخطأت ، لا تحاول أن تغطى الخطأ بالاعذار..
بل اعترف بالخطأ ، فى اتضاع ، وفى صدق.
وحاول أن تصلحه .

ما أسهل على الضمير الواسع أن يجد عذراً يغطى به أية خطيئة يقع فيها ...!!

ما أسهل عليه أن يبرر أى موقف ، بأى كلام !

إن الذين قتلوا سقراط ، قالوا إنه يفسد عقول الشباب ! ومجمع السنهدريم الذى حكم على السيد المسيح قال إنه مجدف !! وحتى يهوذا الخائن كان يغطى خطيئته بعذر...

إن الأعذار باب واسع إن فتحناه ، اتسع لكل فعل ..

إن الأعذار لا تعرف الخجل ... ، وإن كان الخجل قد يدفع أحياناً إليها !!

الدافع الأول للأعذار هو تبرير الذات .

والسبب الحقيقى للأعذار الخاطئة هو كبرياء النفس التى ترفض أن تعترف بالخطأ .

والذات صنم يتعبد له الإنسان ، و يريده أن يكون كاملاً وجميلاً فى عينيه وفى أعين الناس ...

يسىء إلى البعض أن يبدو مخطئاً ، لذلك يغطى خطأه بعذر أو بأعذار . و يكون

http://coptic-treasures.com

العذر فى حد ذاته خطأ آخر قد يحط من قدر الإنسان أكثر من الخطأ الذى يحاول أن يخفيه. وكما قال المثل: [عذر أقبح من ذنب].

الإنسان الذى يبرر ذاته بمختلف الأعذار، هو إنسان يرفض أن يتوب.

أما الاعتراف بالخطأ فهو دليل على صحة النفس، ودليل على الرغبة فى التوبة، وإظهار لندم الإنسان على أخطائه. وقد صدق الكتاب حينما قال: «أنت بلا عذر أيها الإنسان».

والأعذار قد تكون مكشوفة أحياناً، ومفضوحة، ومجالاً للسخرية، وموضعاً لشك الناس، وبخاصة إذا كثرت، أو إن كان الخطأ واضحاً للكل. لذلك على الإنسان أن يراجع نفسه كثيراً قبل أن يحاول تغطية أخطائه بالأعذار.

بل قد تكون الأعذار أحياناً سبباً للإثارة، يتعب السامع ... ويكون خيراً للمخطىء لو أنه يصمت، إن لم يستطع الاعتراف. فالصمت لا يثير كالأعذار التى تدل على استهانة المخطىء بما فعله، وكأنه يظن الأمر طبيعياً لا إثم فيه ...!

والأعذار قد تكون صادقة، وقد تكون مختلقة وغير حقيقية. والكذب معين لكل خطية، يقترب من كل مخطىء وبيده ورقة تين عريضة يحاول أن يستره بها. والأعذار الكاذبة خطيئة مزدوجة تدل على مرض الضمير...

وقد تكون الأعذار لوناً من الخداع، أو شرحاً لما حدث على غير واقعه الحقيقى. وقد يلجأ فيها الشخص إلى الاحتماء وراء أسباب ثانوية بعيدة عن السبب الأساسى للفعل..

وقد ينكشف عذر، فيغطيه صاحبه بعذر آخر ...

وهكذا يدخل فى سلسلة لا تنتهى من الأعذار، كلها تصرخ قائلة: [إننى مجرد ستار لنفس اتعبتها الكبرياء أو أتعبها الخجل، فتريد أن تقف بريئة أمام الناس بأى سبب وبأية وسيلة ...].

إن الأعذار بهذه الصورة نوع من المكابرة، تحاول أن تخفى الحقيقة، وأن تلبس المذنب ثياب الابرياء. وهى غير الأعذار البريئة الحقيقية التى تتقبلها النفس فى رضى..

http://coptic-treasures.com

ما أجمل أن يعترف الإنسان بخطئه ... فالاعتراف بالخطأ يدل على محبة الإنسان للحق والعدل وعدم تحيزه لنفسه ... ، وعدم مجاملته لذاته ...

والذى يعترف بالخطأ يدل أيضاً على صحة فهمه ، وعلى أنه غير محب للمغالطة ، وغير محب للمكابرة ، وغير محب للرياء .

والاعتراف بالخطأ دليل على التواضع ...

فالإنسان المتواضع لا يسلك فى تبرير الذات ، وإنما فى تقويم الذات وتصحيح وضعها . وهو يحكم على نفسه ، قبل أن يحكم الناس عليه . بل حتى لو كان الناس غير متنبهين لخطيئته ، فإن هذا لا يمنعه من أن يعترف بأنه قد أخطأ فى هذا الفعل أو ذاك ...

* * *

ما أقل المعترفين بأخطائهم ، وما أكثر المبررين ذواتهم بالأعذار..

ومن أخطر الأعذار ، الأعذار الشائعة عند الجميع ، حتى أصبحت أمثالاً يتداولها الناس ...

فقد يجتاح المجتمع خطأ عام ، يسلك فيه الكل . وإن عاتبت إنساناً محباً للحق فى مثل هذا السلوك الخاطىء ، ربما يجيبك بهذه الاجابة المحفوظة : [أعمل إيه ؟ الناس كلها كده] ! كما لو كانت عمومية الخطأ عذراً يبرر وجوده ... !

كلا ، فإن الإنسان المحب للحق ، لا يصح أن ينجرف فى أخطاء المجتمع الشائعة ، بل يقاومها ، ولو وقف فى ذلك وحده .

فهكذا كان المصلحون ، بل هكذا كان الأبرار فى كل جيل : لهم طابعهم الروحى الذى يميزهم . حتى لو أخطأ الكل فإنهم لا يخطئون ، واضعين أمامهم قول الكتاب : « لا تشاكلوا هذا الدهر » ، أى لا تكونوا شكله وشبهه . بل إن داود النبى يصرخ فى المزمور و يقول : « نجنى يارب من هذا الجيل » .

لقد كان نوح البار فى وسط كله فساد فى زمن الطوفان ، ولكنه تميز عن معاصريه

http://coptic-treasures.com

بقداسته ، ولم يجارِ الوسط الفاسد . وهكذا أيضاً كان لوط فى أرض سادوم ... وما أكثر الأمثلة .

إلى جوار عذر الخطأ الشائع ، يوجد عذر آخر عام وشائع :

فقد يعتذر إنسان بضعف الطبيعة البشرية ، أمام قوة الاغراءات الخارجية ... وقد يظن هذا مبرراً لسقوطه .

والواقع ان الله لا يمكن أن يأمرنا بوصايا فوق مستوى إمكانيات إرادتنا ، وإلاَّ كان هذا لوناً من الظلم ، وضرباً من التعجيز، كما قال الشاعر:

ألقاه فى اليمّ مكتوفاً وقال له   إياك إياك أن تبتل بالماءِ

إن الله عندما يأمر بوصية ما ، إنما يعطى النعمة التى تساعد على تنفيذها ...

وطبيعتنا البشرية ليست واقفة وحدها ، وإنما هى مسنودة ومؤيدة بقوة الله . والله يعمل فينا ، بقوته ، وبنعمته ، وبروحه القدوس ... وعندما نتجه نحو الخير، نجد كل قوى السماء تساندنا وتعيننا ... والملائكة ، وأرواح القديسين ، وصوت الله فى ضمائرنا وفى قلوبنا ... وكم من مواقف انتصرنا فيها ، وشعرنا يقينا بيد الله فى العمل ... إنه هو الذى قال : « بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً » .

لا يصح أن نصف الطبيعة البشرية على الدوام بالضعف وبالفساد ... إن الله قد وضع فينا قوى عجيبة ، نحن للأسف لا نبصرها ، وبالتالى لا نستخدمها . ثم بعد ذلك بكل جرأة ننوم الله ، ونلوم طبيعتنا ...

وللأسف أيضاً يوجد مَن سقط و يقول : " لا يصح أن نقاوم الطبيعة " !!

كلا ، ليست هذه هى الطبيعة البشرية التى خلقها الله ، لأن الله لا يخلق شيئاً فاسداً !! حاشا .

سر أيها المبارك فى طريق الله ... وتشدد ، وتشجع ... وفى أخطائك لا تلتمس لنفسك الأعذار.

لا تحاول أن تغطى أخطاءك ، بل حاول أن تعالجها .

http://coptic-treasures.com

ثياب الحملان

**لقد نصحنا السيد المسيح أن نحترس قائلاً :
« يأتونكم فى ثياب الحملان ، وهم ذئاب
خاطفة » فما هى إذن ثياب الحملان ؟**

ثياب الحملان ، هى لون من الخداع ، أو من التغطية ، أو من الرياء ، يخفى به الإنسان حقيقته الخاطئة .

يمكن أن ينطبق هذا الوصف على العدو الذى يلبس ثياب الأصدقاء ، أو على الخاطىء الذى يتظاهر بالبر ، ويمكن أن ينطبق على المرائين الذين قال عنهم السيد المسيح إنهم : « يشبهون القبور المبيضة من الخارج ، وفى الداخل عظام نتنة » ...

وثياب الحملان يمكن أن يلبسها الشيطان نفسه . فالشيطان يتقن أساليب الخداع و يستطيع أن يظهر إن أراد فى هيئة ملاك من نور ، أو فى صورة أحد الأنبياء أو القديسين ، أو فى هيئة روح من أرواح الموتى . وقد يتخذ له أى اسم من الأسماء وأى شكل ، وأى صوت ... يستطيع الشيطان أن يظهر فى رؤى كاذبة ، أو فى أحلام كاذبة ، و يوجه الإنسان بطريقة ما .

لذلك ينبغى أن يكون الإنسان حريصاً وحكيماً وله موهبة التمييز . وكما قال الكتاب : « ميزوا الأرواح » ... وإن لم يكن للإنسان هذه الموهبة حينئذ تنفعه المشورة الصالحة حينما يذهب إلى أحد المختبرين و يستشيره فى أمثال هذه الأمور ليكشفها له . لأن الشياطين استطاعت أن تضل كثيرين صدقوا خداعها ولم يكتشفوها لأنها كانت تلبس ثياب الحملان ...

على أن تعبير « ثياب الحملان » يمكن أن ينطبق أيضاً على الرذائل التى تلبس ثياب الفضائل ، وعلى الأخطاء التى تتسمى بغير أسمائها ...

http://coptic-treasures.com

إن الخطية قد تحارب الأشرار مكشوفة وصريحة ، ولكنها لا تحارب الأبرار والقديسين هكذا ، لأنهم لو عرفوا أنها خطية لرفضوها . لذلك فان الشيطان عندما يحاربهم بخطية معينة ، قد يلبسها ثوب الفضيلة ، أو يعطيها اسماً يريح الضمير. وهكذا يضل غير الحكماء وغير العارفين . ومثل هذا التضليل يمكن أن يكشفه المرشد الروحى ...

وقد تستخدم هذه الأسماء المستعارة التى تلبسها الخطية بواسطة أشخاص **يعرفون تماماً أنهم مخطئون. ولكنهم يخفون أخطاءهم بثياب الحملان حتى لا يخجلوا أمام الآخرين ، وحتى لا ينكشفوا .**

ثياب الحملان إذن قد يقع فيها البعض عن طريق الجهل ، وقد يلبسها البعض عن طريق الخداع أو الرياء ... وأمثال هؤلاء المرائين إن استطاعوا أن يخدعوا غيرهم إلاّ أنهم مكشوفون أمام الله ، وأمام ضمائرهم .. وأحياناً يصل بهم الاستهتار إلى أن يتهكموا على الأبرياء المساكين الذين انطلى عليهم الخداع ...

وثياب الحملان يستخدمها العقل أحياناً لتبرير سلوك النفس ... إن العقل لا يكون فى كل وقت عقلاً صرفاً ، أو حقاً خالصاً ... وإنما كثيراً ما يكون العقل خادماً مطيعاً لرغبات النفس... يحاول أن يبرر شهوات هذه النفس ، وأن يبرر سلوكها ، حتى لا تبدو مدانة أمام الضمير... وهكذا يعطى الخطايا والنقائص أسماء مقبولة غير أسمائها الحقيقية ..

وسنحاول أن نضرب لذلك أمثلة :

فالاستهتار مثلاً قد يلبس ثياب الحملان ويأخذ اسم الحرية . وكلمة الحرية كلمة جميلة لا يجادل أحد فى سمو معناها .

وتحت اسم الحرية يفعل الإنسان ما يشاء مستخدماً هذا الاسم الجميل فى فعل ما لا يليق ، ناسياً أن الحرية معناها الحقيقى هى تحرر النفس من الأخطاء ومن الشهوات المعيبة فالشخص الحر هو الذى لا تستعبده عادة رديئة ، أو شهوة بطالة أو طبع فاسد . وليس معنى الحرية أن نكسر وصايا الله ، ونقول إننا أحرار نفعل ما نشاء . هذا الذى يدعى انه حر ، هو فى حقيقته مستعبد للشيطان .. قد

http://coptic-treasures.com

ألبس الاستهتار ثياب الحملان وأعطاه اسم الحرية ...

كذلك قد تلبس الشهوة ثياب الحملان وتتسمى باسم الحب ... والحب كلمة جميلة تنال توقير الجميع ، ولكن هل كل ما يسمى حباً هو حب فى حقيقته ؟ ألاَ يجوز أن خطية ما تخشى أن تكشف عن حقيقتها الفاسدة ، فتلبس ثياب الحملان وتتسمى بهذا الاسم الجميل ؟! ألاَ يجوز أن شاباً يصادق فتاة صداقة غير بريئة مملوءة بالأخطاء الواضحة ، و يسمى هذه العلاقة خطأ باسم الحب ، وهى بعيدة عنه كل البعد .

فالذى يحب فتاة محبة حقيقية ، المفروض فيه أن يحب لها الخير ، فلا يسىء إلى عفتها ، ولا يسىء إلى طهارتها ، ولا يسىء إلى سمعتها ... وإن أتلف طهارة هذه الفتاة ، وأفقدها بساطتها ، وأدخلها فى خبرات خاطئة ، وشغل عقلها ، وضيع وقتها أو مستقبلها ، وعلمها الكذب على أهلها ، وعودها العمل المستتر فى الخفاء ... فلا يصح أن يقول مع كل ذلك أنه يحبها ..! الذى يحب ينبغى أن يكون طريقه سليماً وواضحاً و يعمل فى النور لا فى الظلام. ولا يصح أن يكون الحب مجرد ثياب حملان تخفى فى داخلها ذئاباً **« ذئاب خاطفة »** .

كذلك قد تلبس القسوة ثياب الحملان وتتسمى باسم الحزم . فقد تعاتب أباً قاسياً يسوم أولاده ألوان العذاب ، فيبرر موقفه بأنه ليس قاسياً ، وإنما هو حازم . و يطلق على هذا التعذيب اسم التأديب أو التربية ، و يقول إنه شديد فى تر بية أولاده ، بينما تكون قسوته بعيدة كل البعد عن أساليب التربية ، وقد تأتى بعكس ما يريد ، و ينشأ أولاده معقدين .. ولكنها ثياب الحملان التى تحاول أن تخفى وحشية الأب وقسوته ...

وفى الناحية المضادة قد يلبس ضعف الشخصية ثوب الطيبة والوداعة . وتحت اسم الطيبة قد يتلف أب أولاده ، وقد يتلف رئيس أو مدير كل الهيئة التى يعمل فيها لكونه متساهلاً معيباً مع مرءوسية يُطلق عليه اسم الطيبة . والمفروض أن يكون الإنسان لطيفاً فى غير ضعف ، وحازماً فى غير عنف . وقد يعاقب و يكون طيب القلب فى عقوبته ، وقد يعفو و يكون حازماً خلال عفوه... هكذا تكون الشخصية المتكاملة ...

http://coptic-treasures.com

وثياب الحملان قد يلبسها البعض فى معاملاتهم للآخرين . فقد يسلك إنسان فى أسلوب من التملق والمداهنة ، فإن عاتبته على ذلك ، قال لك إن هذا نوع من السياسة ، أو من الحكمة ، أو من كسب الأصدقاء . بينما يستطيع أن يصل إلى كل ذلك بغير تملق... وقد يدس شخص عند رئيسه فى حق زملائه ، و يسمى هذا الدس وهذه الوقيعة نوعاً من الاخلاص ومن المحبة ..! وما هى إلاَّ ثياب حملان...

ما أكثر الأسماء المستعارة التى تلبسها أخطاء الناس ، و يعوزنى الوقت فى هذا المقال المختصر أن أتحدث عنها بالتفصيل... فالدهاء أو المكر أو الخبث ، قد يتسمى باسم الذكاء وحسن التصرف...

والاسراف قد يتسمى باسم الكرم . والتهكم أو المزاح الردىء ، قد يتسمى باسم خفة الروح .. والشتيمة والشوشرة والاساءة إلى الآخرين قد تتسمى باسم الاصلاح أو النظام . والتعصب الردىء قد يتسمى باسم الغيرة المقدسة والتمسك بالدين . والكذب الأ بيض لاخفاء حقيقته . والملابس الخليعة قد تتسمى باسم المودة... والاغانى العابثة والصور العارية المثيرة ، قد تتسمى كلها باسم الفن... وقد تختفى الرشوة تحت اسم الهدية ، وتختفى السرقة تحت شكليات رسمية لا ترضى الضمير... إلخ...

ليتنا نواجه الحقائق عارية وصريحة ، ولا نسمى الأمور بغير أسمائها ، لكى نستطيع أن نصحح أنفسنا من الداخل ، ونصلح المجتمع الذى نعيش فيه... أما ثياب الحملان فإنها تخفى العيوب بدلاً من إصلاحها...

http://coptic-treasures.com

الإنسان الطاهر النقى ، ينبغى أن يكون طاهراً فى جسده وروحه ، وأيضاً طاهراً فى أفكاره وحواسه ومشاعره ، وحتى فى أحلامه وظنونه وفى هذا المقال أود أن أحدثكم عن :

نقاوة الأفكار

يجب أن يحرص الإنسان على نقاوة أفكاره ، لأن فكره هو أيضاً ملك لله . وكما نحرص على قلوبنا أن تكون نقية لكى يسكن فيها الله ، كذلك الحال مع عقولنا أيضاً .. وقد ورد فى الكتاب المقدس قول الوحى الإلهى : « تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك » .

إن الذى يترك فكره ينشغل بأمور خاطئة إنما يدل على أن الله لا يسكن قلبه ، لأنه من داخل القلب تنبع الأفكار.. وقد قال الكتاب : « الرجل الصالح من كنز قلبه الصالح تخرج الصالحات . والرجل الشرير من كنز قلبه الشرير تخرج الشرور » ..

إن القانون لا يحاسبك على أفكارك ولكن الله يحاسبك على أفكارك . ومن هنا كان الضمير أقوى من القانون وأعمق . لأن الذى يحترس ألاَ يخطىء بفكره ، من الصعب أن يخطىء بالعمل والفعل .. ومن هنا كانت نقاوة الفكر سبباً فى نقاوة الإنسان كله ..

إن أردت أن يكون فكرك نقياً ، أبعد عن الأسباب التى تسبب نجاسة الفكر ، ابعد عن كل ما يجلب لك فكراً خاطئاً .. وقد تأتى الأفكار بسبب قراءات خاطئة ، أو سماعات رديئة ، أو بسبب الوسط الخاطىء : من خلطة أو عشرة أو صداقة

http://coptic-treasures.com

بطالة، وقد يتولد الفكر الردىء من فكر آخر ردىء... فابعد عن كل هذا لكى تحفظ أفكارك طاهرة.

وقد تتولد الأفكار الخاطئة من رغبات أو شهوات رديئة داخل القلب. وفى الواقع إن الرغبات والأفكار يتعاونان معاً. يمكن لكل منهما أن يكون سبباً ونتيجة. الفكر الردىء يمكن أن ينجب شهوة رديئة. والشهوة الرديئة يمكن أن تلد فكراً رديئاً. وفى أحيان كثيرة تكون أفكارك معبرة عن رغباتك. حاول أن تنقى قلبك من رغباته الرديئة، حينئذ تتنقى أفكارك تبعاً لذلك.

والأفكار والشهوات قد يلدان أحلاماً أو ظنوناً، فالشىء الذى تفكر فيه أو الذى تشتهيه قد تحلم به. وبهذا تكون على الإنسان مسئولية فى بعض الأحيان تجاه أحلامه. وكلما يتنقى قلب الإنسان وفكره، على هذا القدر تتنقى أحلامه. وإن حلمت بشىء ضد أفكارك ورغباتك، فقد تنزعج وتصحو بسرعة ولا تستطيع أن تستمر فى الحلم طويلاً..

وقد تكون الأفكار الشريرة فى بعض الأوقات مجرد حرب من الشيطان، يريد بها أن يعكر صفو قلبك، ويفقدك سلامك الداخلى. ولكن ليست كل الأفكار الشريرة حروباً من الشياطين. إن بين حرب الأفكار والسقوط بالفكر فرقاً واسعاً.

الفكر الشرير الذى هو مجرد حرب من الشيطان، يكون قلبك متمرداً عليه، وتحاول إرادتك بكل قوتها أن تطرده وأن تتخلص منه، ولا تقبله على الاطلاق. أما سقطة الإنسان بالفكر، فإنه يكون خلالها راضياً بالفكر الشرير، أو ملتذاً به، وقد يحاول أن يستمر فيه ويستبقيه ويطيله، وقد يتعب إن طرأ سبب يقطع حبل هذه الأفكار. فهل حينما تخطر الأفكار الشريرة بذهنك، تكون مقاوماً لها بصدق، أم راضياً بها؟ هنا المقياس، وهنا أختبار معدن نقاوتك..

نصيحتى لك أن تقاوم الأفكار الشريرة وتهرب منها. إن حاربك فكر شرير، حاول أن تشغل ذهنك بشىء آخر لكى تهرب منه. يمكن أن تفكر فى أمر آخر أكثر عمقاً، لكى تحول مجرى تفكيرك. ويمكن أن تنشغل بالقراءة فى شىء ممتع، لكى تتحول أفكارك من ذلك الموضوع الردىء إلى موضوع القراءة. ويمكن أن تصلى سراً وترفع قلبك إلى الله لكى يبعد الفكر عنك... وإن لم ينفعك كل هذا انشغل بعمل

http://coptic-treasures.com

بـدوى أو تكلم مع أى إنسان لكى تطرد عنك الفكر..

حذار أن تستسلم للفكر الخاطىء ، لأن هذه خيانة منك لله وانضمام منك لأعدائه. وهروبك من الفكر من بدء وروده على ذهنك أسهل وأيسر من محاولتك الهروب بعد استبقائه فترة. لأن الفكر كلما استمر معك، يمارس سلطة عليك، ويخضع إرادتك لجاذبيته، حتى تصبح عبداً له تنفذ مشيئته.. وإذا استمر معك الفكر قد يتحول إلى انفعال أو إلى رغبة أو إلى شهوة... وقد يتطور إلى محاولة للتنفيذ و بهذا تنحدر من خطيئة فكر إلى خطيئة عمل..

وقد يأتى الفكر الشرير من الفراغ. وكما يقول المثل: "فكر الكسلان معمل للشيطان". فالإنسان المنشغل، العمّال، يتحكم فى أفكاره، لأنه يوجهها حسب نوع مشغوليته. التلميذ المجتهد يوجه أفكاره فى طريق دروسه، والعالم تنشغل أفكاره فى العلم، والرياضى فى الرياضة، والعابد فى العبادة.. وأما الذى يقضى وقته فى فراغ، يتعرض ذهنه للأفكار الشريرة. إنه لا يوّجه أفكاره، بل الأفكار هى التى توجهه. نصيحتى لك أن تبدأ المبادرة. قم أنت بتوجيه أفكارك، ولا تترك الأفكار تعبث بك وتوجهك.

إن الفكر يمكن أن يكون سلاحاً فى يدك ، ويمكن أن يكون سلاحاً ضدك ، فاتخذه صديقاً لك لا عدواً. اعرف أن أعظم المشروعات النافعة بدأت فكرة. وكل الأعمال الإنسانية العظيمة بدأت بفكرة. ونحن قد نحتاج إلى خبراء نستقدمهم من بلاد بعيدة أو قريبة، لكى نحصل من كل منهم على فكره.. فلتكن أفكارك كنزاً لك ولغيرك. لتكن أفكارك بركة للمجتمع الذى تعيش فيه.

فإن لم تستطع أن تجعل أفكارك مصدر نفع لك وللناس ، فعلى الأقل لا تجعلها سبب ضياع لك يفقدك مصيرك الأبدى، و يفقدك نقاوة قلبك..

لا تنتظر حتى يأتى الفكر الشرير إلى ذهنك، ثم تتعب فى مقاومته، بل إبدأ أنت وأشغل فكرك بالصالحات... ليكن لك كنز من التأملات المقدسة ومن الأفكار الإلهية، وكنز من مشاعر الحب نحو الله، حتى يستحى منك ذهنك إن أراد الشيطان أن ينجسه أو يسقطه..

http://coptic-treasures.com

وانشغل دائماً بكل ما هو نافع . واعرف أن الله يقرأ أفكارك و يفحصها . لذلك ينبغى أن تخجل من نفسك كلما استسلمت للفكر الخاطىء.. **وإن سقطت فى الفكر فلا تيأس وتستمر، بل قم بسرعة وقوم أفكارك**، وليكن الله معك، يهبك نقاوة الفكر كعطية مقدسة من عنده.

الشهوة.. والخوف

ما هى شهواتك فى الحياة ؟ وهل أنت عبد لشهواتك، أم أن شهواتك طوع يديك، تحت سيطرة حكمة مقدسة. وهل فى شهواتك تستشعر خوفاً. أريد أن أحدثك فى هذا المقال عن الشهوة والخوف.

الإنسان العادى تقوده شهواته :

وإذا استبدت به الشهوة تستطيع أن تخضع لها عقله وضميره، وتستطيع أن تتمرد على جميع أحبائه ومشيريه، وتبقى الشهوة وحدها، وتصير إرادة هذا الإنسان ذليلة أمام شهوته.. لا يسمع لصوت عقله، ولا يسمع لصوت ضميره، ولا يسمع لصوت أحبائه ومشيريه ومرشديه، إنما ينقاد لشهوة قلبه...

http://coptic-treasures.com

وتتنوع الشهوات التى تقود الإنسان :

هناك إنسان تقوده شهوة الجسد ، وآخر تقوده شهوة المال ، وثالث تقوده شهوة الشهرة أو شهوة العظمة ، ورابع تقوده شهوة التسلط على الآخرين ، وخامس تقوده شهوة الانتقام... إلخ . وهناك شهوات جيدة قد تقود الإنسان أيضاً مثل شهوة العلم ، أو الرياضة ، أو الموسيقى . ولكن عيب أمثال هذه الشهوات يكمن فى عدم التوازن، إذا سيطرت على الوقت أو العاطفة على حساب أمور أخرى هامة .

وشهوات الإنسان قد تمثل نقطة ضعف فيه ، وبخاصة إذا عرفت عنه ، فيستطيع الغير أن يحرموه منها فيتعبوه . ولذلك فقد يضعف الإنسان أمام شهواته ، ومن أجل استبقائها أو من أجل تحقيقها قد يلجأ إلى طرق خاطئة كالتملق والرياء والمداهنة ، وربما يلجأ إلى الكذب أو الخداع أو التحايل ليحقق شهوة ما .

والشهوة قد يتبعها الخوف أحياناً : إذ يخاف الإنسان من عدم تحقق شهوته ، وإن كانت قد تحققت وأصبح يعيش فيها ، فانه قد يخشى ضياعها أو عرقلة طريقها بسبب من الأسباب . ولذلك حسناً قال القديس أوغسطينوس :

[جلست على قمة العالم ، حينما احسست فى نفسى انى لا أشتهى شيئاً ، ولا أخاف شيئاً] ..

حقاً ، إن الإنسان الذى لا يشتهى شيئاً ، لا يمكن أن يخاف إذ لا يوجد شيء يحرص عليه أو يخشى عليه من الضياع .. وما أجمل ما قاله أحد القديسين فى ذلك : [خير الناس مَن لا يبالى بالدنيا فى يد مَن كانت] ..

ومن هنا كان الزهد أحد العوامل الأساسية فى القضاء على الخوف . إن الإنسان الزاهد لا يخاف موتاً ولا سجناً ولا إيذاء ، ولا حرماناً من مشتهيات العالم ، ولا أى تهديد من أى نوع . لانه قد زهد كل شيء ، ولم يعد يحرص على شيء يخشى أن يضيع منه ...

والشهوات قد تكون شهوات عالمية ، أو شهوات مقدسة . والشهوات العالمية قد وقف منها الكتاب المقدس موقفاً حاسماً فى الآية المقدسة التى تقول : « لا تحبوا العالم ، ولا الأشياء التى فى العالم ، لأن العالم يبيد وشهوته معه » . وذكر الكتاب

http://coptic-treasures.com

أيضاً أن شهوات العالم تتركز فى : « شهوة الجسد ، وشهوة العين ، وتعظم المعيشة » ..

ولما كان الإنسان لا يمكن أن يعيش بدون رغبة ، لذلك كان على الرجل الحكيم أن يتحكم فى شهواته ، إن الإنسان الجاهل ، أو الإنسان الخاطىء ، أو الإنسان الضعيف ، تتحكم فيه شهواته . أما البار فيسيطر على جميع رغباته ، ولا يستسلم اطلاقاً لشهوة خاطئة ، ولا يجعل إرادته تخضع لأ ية رغبة ضد مشيئة الله .

والرجل الحكيم لا ينتظر حتى تضغط عليه الشهوة ، ثم بعد ذلك يقاومها ، بل هو يتجنب هذه الشهوات من بعيد . انه يسد أمام نفسه الطريق الذى تصل منه هذه الشهوات .. يبعد عن جميع المثيرات والمعثرات ، و يتجنب العوامل الخارجية التى تغرس الشهوة فى نفسه .. يبعد عن القراءات الخاطئة ، والسماعات الخاطئة ، والصداقات الخاطئة ، والمناظر الخاطئة .

وفى نفس الوقت يقوى محبة الله ومحبة الفضيلة فى قلبه ، حتى تكون له حصانة داخلية ، تصد عنه كل الحروب الخارجية التى تحارب القلب .

إن شهوة الخير أقوى من شهوة الشر . والرجل البار يصد شهوة بشهوة . شهوة الخير هى شهوة الروح . وشهوة الروح قوية جداً إن كانت صادقة وعميقة . كما أن شهوة الروح تسندها المعونة الإلهية . إذا اشتهت الروح خيراً ، نجد أن الله يؤيدها بكل قوة . إن الإنسان البار فى شهواته المقدسة وفى محاربته للخطية لا يقف وحده . بل يسنده الله بنعمته ، وتسنده الملائكة وأرواح القديسين ..

والشهوة الروحية لا تعرف خوفاً . الإنسان الروحى فى محبته لله ومحبته للفضيلة لا يخاف ، لانه يشعر بقوة الله معه و يشعر باطمئنان داخلى سببه راحة الضمير وثقة القلب ..

إنما قد يخاف الإنسان الذى يسلك فى الفضيلة خوفاً من الله وليس حباً للفضيلة . الذى يسلك فى البر خوفاً من العقوبة ، هنا أو فى العالم الآخر ، وليس اقتناعاً بهذا البر وحباً له . وليس هذا هو طريق الكمال ، إنما قد تكون هذه مجرد بداية تحتاج إلى أن تتعدل وتتطور فى الطريق .

http://coptic-treasures.com

إننا نريد أن يصل كل إنسان إلى المستوى الروحى الذى فيه يحب الخير ويحب القداسة ، ولا يجد صعوبة فى السير فى طريق الله ، بل يجد فى طريق الله لذة أقوى من محبة العالم كله .

ونريد الشخص الذى يرفض الخطية ولا يندم على رفضه لها ، ولا يشعر انه خسر شيئاً أو ضحى بشىء من أجل الله ..

نريد الشخص الذى يشعر انه يحقق وجوده الحقيقى بمحبة الله وبالثبات فيه . ولا يرى اطلاقاً أن محبة الله ستحرمه من ملاذ أخرى يشتهيها . كلا ، ان طريق الله ليس فيه حرمان ، إنما فيه سمو. إنما يشعر بالحرمان الشخص الذى يشتهى الخطية ، ويرى أن الله يمنعه عنها . فيتضايق من الله ، ويحسب الله عدواً له ، ويقاوم الله .. مثل الوجوديين الملحدين الذين يظنون أن وجود الله يلغى وجودهم هم . فمن الخير لهم أن الله لا يوجد ، لكى يتمتعوا هم بالوجود !!!

هؤلاء قد أخطأوا المفهوم الحقيقى للوجود .. ما هو هذا الوجود ؟ هل هو الاستغراق فى اللذة ؟! هل هو تحقيق الشهوات أياً كانت ، مهما كانت خاطئة ؟! هل هو السير فى طريق الحرية المطلقة ، أى أن تسير النفس حسب هواها دون مراعاة أية مُثل أو مبادىء ؟!

إن الحرية الحقيقية هى تحرر النفس من الداخل ، تحررها من الشهوات ومن الخوف .. وعند ذلك سيكون هواها هوى مقدساً ، وستكون لذتها فى الله وفى وصاياه ، وفى طريق البر والخير. وعندئذ ستحقق وجودها الحقيقى ، وجودها المثالى الذى يضمن لها وجوداً فى الأبدية السعيدة .

http://coptic-treasures.com

حدثتكم فى المقالات السابقة عن بعض الفضائل. أما فى هذا المقال فأود أن أتحدث عن ممارسة تلك الفضائل .. وفى رأيى أن الممارسة تأتى عن طريق:

التداريب الروحية

الذى يريد أن يصل إلى الله، ينبغى أولاً أن يعرف الطريق الموصل إليه، ولكن المعرفة وحدها لا تكفى... يجب أن يكمل الإنسان الطريق الواصل من المعرفة إلى الممارسة.

ماذا يفيدك إن عرفت كل المعلومات عن الفضيلة، وأنت لا تسلك فيها؟! أو ماذا تستفيد إن عرفت كل المعلومات عن الله، وأنت غير ثابت فيه؟! إن المعرفة وحدها ربما تقود إلى الدينونة. لأن الكتاب يقول: «الذى يعرف أكثر، يطالب بأكثر». ولكن ليس معنى هذا أن الجهل أسلم فالقديس أوغسطينوس يقول: إن هناك فرقاً كبيراً بين الجهل ورفض المعرفة. إن الذى يرفض أن يعرف، يدان أمام الله على رفضه للمعرفة، أو على عدم سعيه إليها إن كان ذلك فى إمكانه..

يبدأ الإنسان بمعرفة طريق الله، إما عن طريق القراءة أو السماع أو القدوة الصالحة أو صوت الضمير. **ويتطور من المعرفة إلى الاقتناع، ثم إلى الرغبة والحماس، ثم إلى التنفيذ..**

إن البعض قد يقرأ عن الفضيلة، ويعجب جداً بما يقرؤه، وقد يقتنع به، وقد يتحدث عنه، وقد يعظ به.. ولكنه يقف عند هذا الحد، ويبقى الحديث عن الفضيلة

http://coptic-treasures.com

مجرد أفكار تعيش خارج حياته... فيكف يمكنه أن يحول هذه المعلومات إلى حياة؟ اقترح لذلك فكرة التدريبات الروحية...

والتداريب الروحية معناها أن الإنسان يبدأ مرحلة جديدة وهى تدريب نفسه عملياً على الفضيلة، أو تدريب نفسه على ترك خطية معينة، أو محاربة عادة خاطئة عنده أو أى عيب يراه فى سلوكه. أو قد يدرب ذاته على معالجة ضعف معين فى علاقته مع الله أو مع الناس...

بهذه التدريبات تتحول المعلومات الروحية إلى حياة، ويتحول الاقتناع النظرى إلى سلوك عملى، وتتحول وصية الله إلى طبع فى الإنسان.

وبهذه التدريبات يواجه الإنسان ذاته، ويواجه الواقع، ويدخل فى حرب روحية مع نفسه، ويحاول أن يخضعها للحق والبر.. ويعرف أيضاً العوائق التى تعترض طريقه الروحى..

وسنحاول أن نأخذ مثالاً عملياً ونحلله، لنفرض أن إنساناً اكتشف فى نفسه أنه إنسان سريع الغضب، وأراد أن يدرب نفسه على الهدوء والوداعة. فماذا يفعل؟

ينبغى أولاً أن يكون مقتنعاً بفائدة هذا التدريب وعازماً على السير فيه.

من أجل هذا عليه أن يضع أمامه أضرار الغضب، وجمال الطبع الوديع الهادىء، ويستعرض أمامه بعض أقوال القديسين فى ذلك، ولا مانع من أن يقرأ بعض السير الجميلة التى تحببه فى فضيلة الوداعة. ويقنع نفسه أيضاً بتذكر ما جره على نفسه من قبل نتيجة لغضبه...

بعد ذلك يراقب نفسه ويحاسبها. وفى كل مرة يحاربه الغضب يذكّر نفسه بالتدريب. ولا مانع من أن تكون له كراسة خاصة بالتدريبات (أو نوتة) يسجل فيها ما يحدث له بخصوص هذا التدريب. فإن نجح فى تدريبه يشكر الله على ذلك، وإن فشل يحاول أن يحلل أسباب فشله.

يعرف مثلاً: مع مَن ثار وغضب، ولأى سبب، وما هى الأخطاء التى وقع فيها أثناء غضبه. ويحاول أن يعرف هل هذا الغضب كان أمراً عارضاً، أم أن له عنصر الثبات. أقصد هل هو دائم الغضب مع هذا الشخص بالذات، أو لهذا السبب

http://coptic-treasures.com

بالذات؟ بحيث إذا اصطدم بنفس الشخص أو بنفس السبب لا بد أن يغضب؟ ثم يسأل نفسه هل كان الغضب هو العلاج الوحيد للموقف، أم كان ممكناً أن يعالجه بطريقة أخرى؟ وهل هو قد تسرع فى تصرفه؟ وهل كان ممكناً بشىء من التفكير أو بشىء من طول الأناة أن يسلك بطريقة أهدأ وأسلم؟..

إن محاسبة النفس هذه وتحليل تصرفاتها، أمر لازم لكل إنسان يريد أن يعالج أخطاءه.

فإن وجد أنه مع إنسان معين لا بد أن يخطىء، يحاول أن يتحاشى هذا الإنسان، ويتفادى الحديث معه أو الخلطة به، أو يحاول أن يحدد لنفسه سياسة حياله فى المرات المقبلة حتى لا يفاجأ بنفس التصرف منه فيغضب. أو يحاول أن يصلح شعوره من جهته..

كذلك عليه أن يعرف الأخطاء التى يقع فيها أثناء غضبه ويدرب نفسه على تركها، فإن كان فى غضبه يرتفع صوته ويحتد، يدرب نفسه على الصوت المنخفض الخفيف، وإن كان فى غضبه تحتد ملامحه ونظراته ويتغير شكل وجهه، حينئذ يدرب نفسه على هدوء الملامح. وإن كان فى غضبه يستخدم الألفاظ الجارحة، يدرب نفسه على الألفاظ الهادئة... إلخ.

المهم أن يضع الإنسان نفسه تحت مراقبة، وتحت توجيه خاص، ولا يترك نفسه على حريتها تتصرف كما تشاء دون حساب ودون تعديل للاتجاه الخاطىء.

الإنسان الذى يستخدم طريقة التدريبات الروحية هو إنسان ساهر على خلاص نفسه، مهتم بنقاوة قلبه. وهو أيضاً إنسان لا يجامل ذاته، ولا يدعى انه بغير خطية.

كلنا نخطىء. وعلينا أن نلتفت إلى أخطائنا فنعرفها ونعالجها.

ويمكن أن يكن التدريب الروحى تحت إرشاد روحى يقود ويوجه. وعلى أية الحالات فإن الإنسان الذى يدرب نفسه باستمرار، سيأتى عليه وقت يصبح فيه **خبيراً بالحياة الروحية وبالمحاربات الروحية، بل يصبح أيضاً خبيراً بالنفس البشرية** وبما يتفاعل فيها من مشاعر وأحاسيس وأفكار... ويمكنه بطول الخبرة أن يصلح لإرشاد غيره...

http://coptic-treasures.com

إن الدين ليس مجرد معلومات يتلقنها الإنسان بل هو حياة . فما أسهل أن يتحول الشخص إلى دائرة معارف ، و يبقى فارغاً من الداخل.. أما الدين فهو الوسيلة التى تقودنا إلى حياة الكمال . لذلك يقول لنا الرب فى الإنجيل : « الكلام الذى أقوله لكم هو روح وحياة » ..

لذلك فإن المعرفة الدينية يجب أن تكون مجرد وسيلة توصل إلى الحياة الفضلى. ولهذا لا يصلح كل إنسان لتدريس الدين . فالدين ليس مجرد علم... إننا نريد أن نصل إلى الوضع الذى يصبح فيه مدرس الدين عبارة عن وسيلة إيضاح لجميع الفضائل ، و يصبح فيه المدرس هو نفسه الدرس هو القدوة العملية والمثال العملى الذى يتعلم منه الناس ، فلا يصير واعظاً بل عظة ...

وعلى كل إنسان يسمع عن الفضيلة أو يقرأ عنها ، أن يأخذها مجالاً للتدريب العملى ، و يبذل فى اقتنائها كل جهده . مصلياً فى كل حين أن يعطيه الرب قوة على السير فى طريقه ، وعلى النجاح فيما يدرب نفسه عليه ...

http://coptic-treasures.com

بين الصمت والكلام

كثيراً ما يتحير الإنسان : أيهما أفضل : أن يصمت أم أن يتكلم ؟ وهكذا عليه أن يحدد موقفه بين الصمت والكلام .

فضيلة الصمت :

نلاحظ أن غالبية القديسين قد فضلوا الصمت ، واضعين أمامهم قول الحكيم : « كثرة الكلام لا تخلو من معصية » . وفى ذلك قال القديس أرسانيوس - معلم أولاد الملوك - عبارته المشهورة :

[كثيراً ما تكلمت فندمت ... وأما عن سكوتى ، فما ندمت قط] .

ومن أجل هذا صلى داود النبى قائلاً : « ضع يارب حافظاً لفمى ، باباً حصيناً لشفتىَّ » ... وقال الوحى الإلهى : « الاستماع أفضل من التكلم » .

وما أكثر ما تحدثت الكتب الروحية عن : « فضيلة الصمت » ودعت إليها ، **لكيما يتخلص بها الإنسان من أخطاء اللسان وهى عديدة ...**

منها الكذب والمبالغة ، وكلام الرياء والتملق والنفاق . ومنها التهكم ، والكلام الجارح ، والسب واللعن والإساءة إلى الآخرين ، والتحدث بالباطل فى سيرة الناس . ومنها الافتخار بالنفس والتباهى ومدح الذات . ومنها الكلام البذىء ، والقصص والفكاهات الخليعة ، وكلام المجون . ومنها أخطاء اللسان أيضاً : التجديف ، وكلام الكفر ، والتذمر على الله . ومنها التعليم الخاطىء ، والضلالة والبدع .

ومن أخطاء اللسان أيضاً الثرثرة . لأن الله لم يخلق اللسان فينا لكى يتكلم عبثاً بلا فائدة .

http://coptic-treasures.com

لكل هذا فضّل القديسون الصمت ...

ليس فقط ، لكى يبعدوا عن أخطاء اللسان ، إنما أيضاً لكى يتيح لهم الصمت فترة للصلاة والتأمل...

لأن الإنسان لا يستطيع أن يتكلم مع الله والناس فى الوقت نفسه . لهذا قال الشيخ الروحانى :

[سكّت لسانك ، لكى يتكلم قلبك] .

وقال مار إسحق : [كثير الكلام يدل على أنه فارغ من الداخل] ، أى أن قلبه فارغ من مناجاة الله ، فارغ من العمل الروحى فى التأمل والصلاة ...

كلام المنفعة :

يبقى بعد كل هذا سؤال هام وهو :

هل كل صمت فضيلة ؟

وهل كل كلام خطيئة ؟

كلا ، طبعاً ، فقد قال داود النبى فى المزمور : « فاض قلبى بكلام صالح » . إذن هناك كلام نافع ومفيد ، وذلك حينما نتكلم بالصالحات .

إن الصمت حالة سلبية ، بينما الكلام حالة إيجابية .

وإنما يدرب الناس أنفسهم على الصمت ، حتى يتدربوا على الكلام النافع . الصمت إذن هو وضع وقائى يحمينا إن كنا نتكلم بدافع بشرى .

أما إن كان الله هو الذى يفتح شفاهنا ، وهو الذى يضع كلاماً فى أفواهنا ، فحينئذ يكون كلامنا ـ لا صمتنا ـ هو العمل الفاضل .

كان السيد المسيح يتكلم ، والناس « يتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه » . والشهيد اسطفانوس تكلم فأفحم المجامع الخاطئة « ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به » . وقد قال سليمان الحكيم :

« فم الصديق ينبوع حياة » .

http://coptic-treasures.com

وقد كان حكماء العالم يجوبون البر والبحر ، لكى يسمعوا كلمة منفعة من المتوحدين والنسّاك فى برارى مصر وقفارها ...

كلام المنفعة هذا ، هو كلام من الله يضعه فى أفواه أحبائه ، ليبلّغوه للآخرين ، هادئاً كان أم شديداً.

ومن كلام المنفعة : كلمة النصح لمَن يحتاج إليها ، وكلمة العزاء لقلب حزين ، وكلمة التشجيع لناشىء أو ليائس ، وكلمة التعليم لبناء النفوس ، وكلمة الله للهداية والارشاد ، وكلمة البركة ، وكلمة الحق ، وكلمة الحكمة ... إلخ .

نسأل سؤالاً بعد هذا ، وهو : إن كان الكلام هكذا نافعاً فى بعض الأوقات .

فهل يمكن أحياناً أن يعتبر الصمت خطيئة ، تماماً كما يحسب الكلام الشرير خطيئة ؟ وهل يمكن أن ندان على صمتنا ، كما ندان على كلامنا !

نعم ، أحياناً ندان على صمتنا ...

إن لكل شىء تحت السماء وقتاً . وقد قال سليمان الحكيم : « للسكوت وقت ، وللتكلم وقت » . فإن كان للتكلم وقت ، فلا شك أننا ندان إذا صمتنا فيه .

فالبار لا يتكلم حين يحسن الصمت . ولا يصمت حين يحسن الكلام .

إنما يعرف متى يتكلم ، وكيف يتكلم . و يضع لكلامه هدفاً نافعاً روحياً . وقد قال الحكيم : «تفاحة من ذهب ، فى مصوغ من فضة ، كلمة مقولة فى موضعها » .

وكثيراً ما أمر الله الناس بالكلام ، فكان يرسلهم أحياناً للانذار ، وأحياناً للتبشير ، وأحياناً لإعلان حقه بين الناس .

إن الله لا يكلم الناس مباشرة ، وإنما يكلمهم عن طريق أحبائه من البشر . هو يريدنا أن نعلن وصاياه للناس ، وقد طلب إلينا أن نكون شهوداً له على الأرض ...

فإن صمتنا عن الشهادة للحق ، ندان على صمتنا .

وإن صمتنا ، وبصمتنا أعطينا مجالاً للباطل أن ينتشر وأن ينتصر ، فإننا ندان على صمتنا .

وإن قصرنا فى إنذار البعض ، فأضر بنفسه أو بغيره ، ندان أيضاً على صمتنا .

http://coptic-treasures.com

فإن رأيت إنساناً يسقط فى حفرة وهو لا يدرى ، هل تقول إن الصمت فضيلة أم تحذره ؟! وإذا لم تحذره ، ألآ تدان على صمتك ، ويطالبك الله بدم ذلك الإنسان ؟

بهذا يكون هناك واجب على الرعاة أن يتكلموا ، وواجب مثله على الآباء والأمهات ، وعلى القادة الروحيين ، وعلى المعلمين ، وعلى كل مَن هو فى مسئولية .. كل هؤلاء كلّفهم الله أن يقولوا كلمة الحق ، وأن يشهدوا لوصاياه فى العالم... ومثل هؤلاء يكون كلامهم أفضل من الصمت .

فليعطنا الرب أن نعرف كيف ومتى نتكلم . وليعطنا الكلمة التى تتفق ومشيئته الصالحة ، والتى يعمل فيها روحه القدوس فلا ترجع فارغة ، بل تثمر ثمراً فى قلوب الناس. ويرى الرب ثمار هذه الكلمة فيفرح وتفرح ملائكته ، ويكون هو الذى تكلّم وليس نحن...

وليتمجد الرب فى صمتنا وفى كلامنا ، له المجد إلى الأبد آمين .

http://coptic-treasures.com

فوائد النسيان

كثير من الناس يشكون من أنهم ينسون ، ويسألون باستمرار عن علاج للنسيان.. وحقاً إن للنسيان مساوىء كثيرة ومع ذلك فلكى ننصفه، نقول إن هناك ولا شك فوائد للنسيان.

النسيان على أنواع . **وهناك نسيان ضار ليس هو الذى نقصده فى هذا المقال.** فمن الخطأ طبعاً أن ينسى المرء واجباته الدينية أو واجباته العالمية. ومن الخطأ أن ينسى عهوده ووعوده ومواعيده. ومن الخطأ أن ينسى فضل الناس عليه أو ينسى بالأكثر إحسانات الله العديدة... إلخ.

على أن النسيان ليس كله شراً ، لقد سمح الله به من أجل نفع الإنسان وفائدته، لو أحسن الإنسان استخدامه.. فالإنسان الحكيم يعرف متى ينبغى أن يذكر، ومتى ينبغى أن ينسى. فلا ينسى حيث يجب التذكر، ولا يتذكر حيث يجب النسيان.. وسنحاول فى هذا المقال أن نشرح بعض المجالات التى يحسن فيها النسيان..

فمن فوائد النسيان مثلاً أن ننسى إساءات الناس إلينا.. ننساها لكى نستطيع أن نصفح وأن نغفر. وننساها لكيلا يملك الغضب على قلوبنا من جهتها.. ننساها لكى نهرب من شيطان الحقد ومن شيطان الكراهية.

الذى ينسى أخطاء الناس إليه ، يمكنه أن يحب الجميع ، ويملأ السلام قلبه من جهة الكل. ويستطيع أن يقابل كل أحد ببشاشة ، ولا يختزن فى قلبه شراً من جهة أحد.. لذلك إن أساء إليك أحد، لا تحاول أن تسترجع فى ذهنك إساءته إليك. ولا

http://coptic-treasures.com

تجلس مع الناس وتحدثهم عما فعله بك هذا المسيء.. لا تفكر فى هذا الموضوع، ولا تتكلم فيه، لئلا يرسخ فى ذاكرتك وفى قلبك، و يتعبك..

ولا تنس فقط أخطاء الناس إليك، إنما إنس أخطاءهم عموماً. لو تذكرت على الدوام أخطاء الناس، لأسودت صورتهم فى نظرك، ولعجزت عن أن تجد لك فى الناس صديقاً.. كل الناس لهم أخطاء، ولو تذكرنا لكل واحد أخطاءه لما استطعنا أن نتعامل مع أحد.. وربما يدخل الشك إلى قلوبنا من جهة الناس جميعاً... وربما لا نستطيع أن نتكلم باحترام مع كل أحد...

إن الله لا يضع أخطاءنا على الدوام أمام عينيه، فلنفعل هكذا مع الناس.. يقول لنا الإنجيل المقدس: «بالكيل الذى به تكيلون، يكال لكم و يزاد». ليتنا إذن ننسى أخطاء الناس، لكى ينسى الله أخطاءنا. وفى نفس الوقت الذى ننسى فيه أخطاء الناس، ينبغى أن نذكر خطايانا الخاصة، لكى نصل إلى حياة الاتضاع.. قال القديس الأنبا أنطونيوس: [إن ذكرنا خطايانا، ينساها لنا الله، وإن نسينا خطايانا، يذكرها لنا الله]..

إذن اذكر خطاياك، وانس خطايا غيرك ... فإن هذا يقودك إلى الاتضاع وإلى المحبة.. أما الإنسان المتكبر أو غير المحب فإنه على العكس: دائماً ينسى نقائصه الخاصة، ودائماً يذكر أخطاء غيره. وقد يتحدث عن خطايا الناس، و يتضايق إن تحدث الناس عن خطاياه.

كذلك من النسيان النافع، أن تنسى فضائلك، أو تنسى الأعمال الحسنة التى شاءت نعمة الله أن تعملها على يديك... إن عملت خيراً أو إن عمل الله خيراً بواسطتك، فالواجب عليك أن تنسى ما عملته. لا تذكره، ولا تتذكره. لئلا يوقعك هذا الأمر فى الاعجاب بالنفس أو فى الكبرياء، وأيضاً لكيلا تجلب لنفسك مديحاً من الناس يضيع معه أجرك فى السماء إذ تكون - حسبما يقول الإنجيل - «قد استوفيت خيراتك على الأرض»..

الذى يعمل خيراً، عليه أن يخفى الأمر، ليس عن الناس فقط، إنما حتى عن نفسه هو، بالنسيان. وفى هذا يقول السيد المسيح: «وأما أنت فمتى صنعت صدقة، فلا تعرّف شمالك ما تفعله يمينك. لكى تكون صدقتك فى الخفاء. فأبوك الذى

http://coptic-treasures.com

يرى فى الخفاء ، هو يجازيك علانية » ... حقاً إن الذى يذكر فضائله ، أو يُظهر فضائله ، إنما يقع فى الغرور و يفقد ثوابه ... لذلك إنس الخير الذى تعمله ، وإن ألح عليك الفكر فى تذكره ، أو أن تكلم الناس عنك ، فانسب ذلك إلى نعمة الله وعمله لا إلى نفسك .

ومن فوائد النسيان ، أن تنسى المتاعب والضيقات ...

أحياناً يكون التفكير فى الضيقة أشد ايلاماً وضرراً من الضيقة ذاتها .. اجعل الضيقات خارجك لا داخلك . لا تسمح بدخول الضيقات فى فكرك أو فى قلبك لئلا تتعبك . حاول أن تنساها . وإن ألح عليك الفكر ولم تستطع أن تنسى ، حاول أن تنشغل بالقراءة أو بالعمل أو بالحديث مع الناس ، لكى تنسى ...

وعندما تنسى ضيقاتك ومتاعبك وآلامك ، ستدرك أن النسيان نعمة وهبها لنا الله . وستشكر الله الذى جعلك تنسى ... أليس [illegible] الأطباء يقدمون للمرضى المتعبين بأفكارهم ومشاكلهم النفسية ، أدوية لكى تشت[illegible] تركيز أفكارهم فينسون ... وهكذا يحاول الإنسان أن يشترى النسيان بالطب والد[illegible]ء والمال . مبارك هو الله الذى يهب النسيان مجاناً ، لمحبيه ..

إنس المتاعب إذن والهموم ، لأن تذكرها يجلب الأمراض النفسية والعصبية ، وأمراضاً أخرى باطنية كثيرة .

من فوائد النسيان أيضاً أن ينسى الإنسان المعثرات التى تجلب له الخطية .

فقد يقرأ شاب قصة بذيئة ، أو يرى منظراً خليعاً ، أو يسمع كلاماً مثيراً ... وإن لم ينس كل هذا ، تظل هذه الأمور حرباً على فكره تضيع نقاوة قلبه . ومن الخير له أن ينسى .

وقد يقع شاب فى مشكلة عاطفية ، ويحاول من أجل راحة قلبه أن ينسى .. وإن استطاع يعترف أن النسيان نعمة عظيمة .

لذلك حاول أن تنسى كل ما يعكر نقاوة قلبك .. لا تجلس وتفكر فى أى أمر ينجس ذهنك أو مشاعرك . إنما إن عبر شىء من هذه الأمور عليك لا تستبقيه ولا تعاود التفكير فيه لكى تنساه .

http://coptic-treasures.com

ومن فوائد النسيان أيضاً أن تنسى التافهات لكى تبقى فى ذهنك الأمور الهامة النافعة لك ولغيرك ...

تصوروا مثلاً لو أن إنساناً تذكر كل ما يمر عليه طوال يومه أو طوال أسبوع أو شهر من كل الأمور التافهة التى تختص بالأكل والشرب وأحاديث الناس ومناظر الطريق وأيضاً كل القراءات وكل الأحداث ، مثل هذا الشخص لا تحتمل طاقة فكره أن تخزن المعلومات اللازمة له والأساسية .. لذلك يسمح الله أن ننسى التافهات لكى تبقى فى ذهننا الأمور الهامة فقط .

تصور مثلاً إذا أردت أن تصلى ، وجاءت إلى ذاكرتك كل الأخبار والأحاديث التى عبرت عليك فى يومك !! هل تستطيع حينئذ أن تركز فكرك فى الصلاة . كذلك إن أراد أحد أن يذاكر درساً ، أو أن يكتب بحثاً ، أو أن يناقش موضوعاً هاماً ، أتراه يستطيع ذلك وفى ذهنه كل التافهات التى عبرت عليه فى يومه . أليس من صالحه أن ينساها ؟! ولو إلى حين ..

إن النسيان إذن عملية غربلة حيوية تغربل فى الذهن وفى الذاكرة جميع المعارف والمعلومات والمناظر والسماعات والأخبار، فتستبقى منها النافع ، وتترك ما لا يفيد ..

حاولوا إذن أن تتحكموا فى ميزان ذاكرتكم ، ولا تستبقوا فيها إلاّ كل ما يفيدكم .. أما الباقى فانسوه . فلمثل هذا أوجد الله النسيان..

http://coptic-treasures.com

يحتفل المسيحيون اليوم بأحد الشعانين أو ما يسميه الناس «أحد السعف» حيث استقبل السيد المسيح فى أورشليم بسعف النخل وبأغصان الزيتون.

وفى ذكرى اليوم نريد أن نتأمل فى نقطة روحية هامة عن أيهما نختار:

المجد أم الألم ؟!

فى ذلك اليوم دخل السيد المسيح إلى أورشليم، وكانت شهرته قد طبقت الآفاق كمعلم صالح بهت الناس من سمو تعاليمه، وكصانع معجزات يشفى المرضى، و يقيم الموتى، ويخرج الشياطين، و يعمل ما لم يعمله أحد من قبل. كما ذاعت شهرته كزعيم شعبى كبير استطاع أن يجمع القلوب من حوله فالتفوا حوله فى حب واعجاب...

لذلك عندما دخل إلى أورشليم استقبله الناس كملك، بسعف النخل وبأغصان الزيتون، وبالتهليل والهتاف، وأرادوا تنصيبه ملكاً عليهم، لكى يخلصهم من حكم الرومان، و يقيم لهم مملكة قوية ذات هيبة وسلطان، و يرجع لهم عظمة سليمان...

ولكن السيد المسيح رفض أن يكون ملكاً، ورفض هذه المملكة الأرضية، إذ أراد تكوين مملكة روحية يملك فيها الله على القلوب، لا مملكة أرضية ذات عرش وصولجان، وجنود وفرسان...

http://coptic-treasures.com

كان يعرف أن اليهود يسيرون بتفكير عالمى علمانى ، سعياً وراء السلطة والشهرة والنفوذ . وهو قد جاء ليخلصهم ويخلص العالم من هذه النظرة المادية .. إنه لم يأت إلى العالم لكى يكون ملكاً على اليهود يحقق لهم شهواتهم العالمية ، بل على العكس يخلصهم من هذه الشهوات ..

وإذ رفض المسيح فكرة الملك ، رفضه هؤلاء اليهود ، وتآمروا لكى يقتلوه .. وهكذا رفض المسيح المجد ، وفضل عليه طريق الألم ..

فضل أن يكون مضطهداً من اليهود ، عن أن يكون ملكاً عليهم .. ولم يرد مطلقاً أن يشترك مع ذلك الشعب فى رغباته وفى شهواته .. حقاً ماذا يفيدهم المُلك وهم بعيدون عن الله ، يأخذون من الدين مظاهره و يتركون روحه ، حتى و بخهم الله بقوله : « هذا الشعب يعبدنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً » !!

لقد أراد المسيح أن يطهر الناس ويقدسهم ، لا أن يملك عليهم ، أراد أن يحرر قلوبهم من الخطية ، لا أن يحررهم من الرومان الذين ملكوا عليهم نتيجة لخطاياهم ...

ولكن اليهود كانوا بعيدين عن هذا التفكير الروحى ، بل لم يفكروا اطلاقاً فى أرواحهم وخلاصها ، الأمر الذى كان شغل المسيح الشاغل .

كل تفكيرهم كان منحصراً فى المُلك ، وفى المُلك وحده .. لذلك خابت آمالهم فى المسيح الذى يحدثهم عن الروحيات و يرفض المُلك الأرضى .. وهكذا استقر رأيهم على أن يقتلوه .. و بدأوا فى التآمر عليه ، من نفس ذلك اليوم الذى اختاروه فيه ملكاً !!! وهكذا رفضوه .. فقيل عنه ..

« إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله » . « النور أضاء فى الظلمة ، والظلمة لم تدركه » .. جاء النور إلى العالم ، واحب الناس الظلمة أكثر من النور.. رفضوا المسيح ، وطلبوا باراباس .. كانت قلوبهم مظلمة ، ولم يدركوا أين خيرهم .. وإذ سعوا لقتل المسيح ، إنما جنوا على أنفسهم لا عليه .. وسار المسيح فى طريق الجلجثة وفى طريق الصلب ...

http://coptic-treasures.com

وبهذا وضع لنا المسيح مبدأ هاماً ، وهو أن الألم أسمى من المجد العالمى ، أو أن الألم هو طريق المجد الحقيقى .. ولا مجد بدون ألم .. أو أن مجد الإنسان كامن فى ألمه ..

لهذا يحب المسيحيون آلام المسيح ، بل يحتفلون بآلامه .. وفى كل سنة لهم أسبوع اسمه « اسبوع الآلام » .. ولا يخجل من آلام المسيح بل يفتخر . و يرى ان الامه من آجلنا ، هى علامة حب ، وعلامة بذل ، وعلامة زهد فيها رفض الامجاد الزائلة العالمية . بل أن اسم المجد هو اسم خاطىء يُطلق عليها بغير وجه الحق ..

صدق أمير الشعراء أحمد شوقى حينما قال :

ومتعت بالألم العبقرى وانبغ ما فى الحياة الألم

إن كل مَن يسير فى طريق الله ، عليه أن يتألم من أجله ، ويجد لذة فى ألمه .. وكل فضيلة بغير ألم ، هى فضيلة رخيصة ، خالية من البذل ..

لذلك فكل إنسان فى اليوم الأخير ، سيعطى حساباً عن أعماله ، و يثاب بمقدار ألمه من أجل الرب . وكما قال الكتاب : « كل واحد سينال أجرته بحسب تعبه » .. إن كان الأمر هكذا ، فيحق لنا أن نسأل :

ما هو مقدار تعبك من أجل الرب ؟ وما هو مقدار بذلك وألمك ؟

طبق هذه القاعدة فى كل عمل من أعمالك .. وان وجدت عقبة أمامك فى طريق الفضيلة ، فابذل جهدك لكى تتخطاها . وإن وجدت ألماً فى طريق الخير ، فاحتمله بفرح ورضى . وإن وجدت عملاً صالحاً لابد أن يقتضى جهداً وتعباً ، فلا تبال بالتعب ، وكن قوى القلب ..

واعلم أن الله الذى تحبه ، لا يمكن أن ينسى تعب المحبة .. واذكر سير الشهداء القديسين الذين تألموا من أجل الرب ، وكانوا فرحين فى آلامهم ، وكان الناس يندهلون من قوة احتمالهم .. ومهما كانت آلامك أنت ، فإنها لا يمكن أن تقاس بألامهم وعذاباتهم .. كذلك الأبطال وأصحاب الرسالات ، كلهم تعبوا من أجل أهدافهم السامية ، وكافأهم الله على أتعابهم ، وكانت هى طريقهم إلى المجد ..

http://coptic-treasures.com

إن الراحة لا تخلق أبطالاً ، والمتعة لا تخلق قديسين .. وما أصدق قول الشاعر الحكيم الذى قال :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

ونحن فى هذه الحياة ، علينا أن نبذل كل طاقاتنا ، ونضحى بكل راحتنا ، من أجل الله وملكوته ، ومن أجل المثل التى نؤمن بها ، واضعين أمامنا قول الكتاب : « إذن يا اخوتى الأحباء ، كونوا راسخين غير متزعزين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين ، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب » ...

والآلام التى نتحملها من أجل الله ، يجب أن نتحملها برضى وبغير تذمر لأن التذمر يضيع أجرها ، وهو دليل على أن القلب من الداخل غير متجاوب مع الألم الخارجى ، وغير مقدم ذاته كذبيحة مرضية لله . ان آباءنا القديسين كانوا يفرحون فى الألم ، و يفرحون بالألم .. إن تلاميذ المسيح عندما جلدهم رؤساء اليهود ، يقول الكتاب عنهم : « فخرجوا فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه » .. و يروى لنا التاريخ أن السجون كانت تمتلىء بالتراتيل والتسابيح والأغانى الروحية فى القرن المسيحى الأول من أشخاص بنتظرون موتهم بين حين وآخر..

إن آلام الدهر الحاضر ، لا يمكن أن تقاس بالمجد العتيد الذى ينتظره المؤمن فى الأبدية .. ان الذى يتأمل فى السماء وأمجادها ، وفى النعيم الأبدى ، وفى الملائكة والقديسين ، وفيما أعده الله لقديسيه فى العالم الآخر ، يهون عليه كل تعب يتعبه من أجل الله . و يهون عليه السهر الذى يسهره للصلاة ، والتعب الذى يحتمله فى الصوم وفى العبادة ، والجهد الذى يبذله من أجل البعد عن خطية معينة ، أو من أجل التخلص من عادة خاطئة ..

واعلموا أن الألم المقدس ليس هو علامة ضعف ، بل هو دليل على قوة القلب من الداخل .. لم يقل أحد إن الشهداء مثلاً كانوا ضعفاء فى موتهم وفى مقاساتهم ، بل كانوا أقوياء القلب والإيمان ..

http://coptic-treasures.com

فهرست الكتاب

صـــفحة

مقدمة ٥
١ - ما هو الخير ٧
٢ - الإنسان الخير ١١
٣ - كلمة أخرى عن الخير ١٦
٤ - مقياس الطول ومقياس العمق ٢٠
٥ - بين السرعة والبطء ٢٤
٦ - أنصاف الحقائق ٢٨
٧ - رحلة الخبر إلى أذنيك ٣٢
٨ - **القلب الكبير** ٣٦
٩ - **القلب الحنون** ٤٠
١٠ - الذين يعطون ٤٤
١١ - القلب المطمئن ٤٨
١٢ - جحيم الرغبات ٥٢
١٣ - يعيش خارج نفسه ٥٦
١٤ - المحبة هى قمة الفضائل ٦٠
١٥ - كيف تحب الناس ويحبك الناس ٦٤
١٦ - الأسرة السعيدة يجمعها الفهم والحب ٦٩
١٧ - فلسفة الأخذ والعطاء ٧٣
١٨ - الذاتية وإنكار الذات ٧٧
١٩ - التواضع هو الفضيلة الأولى ٨١
٢٠ - محبة المديح والكرامة ٨٥

http://coptic-treasures.com

٢١ ـ ما هى الصلاة وكيف تكون ٨٩
٢٢ ـ الإيمان العملى ٩٣
٢٣ ـ التوبة ٩٧
٢٤ ـ محاسبة النفس ١٠٠
٢٥ ـ لا تغط أخطاءك بالأعذار ١٠٤
٢٦ ـ ثياب الحملان ١٠٨
٢٧ ـ نقاوة الأفكار ١١٢
٢٨ ـ الشهوة والخوف ١١٥
٢٩ ـ التداريب الروحية ١١٩
٣٠ ـ بين الصمت والكلام ١٢٣
٣١ ـ فوائد النسيان ١٢٧
٣٢ ـ المجد أم الألم ١٣١
فهرست ١٣٥

http://coptic-treasures.com

في هذا الكتاب

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد - آمين

يحوى هذا الكتاب ٣٢ مقالاً روحياً، بدأ نشرها فى جريدة الجمهورية، من فبراير ١٩٧١ حتى يوليو ١٩٧٢ .

وكلها تدور حول الفضيلة ، ولا تتعرض اطلاقاً لموضوعات عقائدية .

تقرأ فيها عن الخير ، وعن التواضع ، وعن التوبة ، وعن المحبة ، وعن العطاء ، وعن القلب الكبير الحنون المملوء بالسلام .

وتقرأ أيضاً عن الإيمان ، والصلاة ، والحق ، وفوائد النسيان ، والسرعة والبطء ، وموضوعات أخرى كثيرة .

كل موضوع منها فى حوالى أربع صفحات ، ولا يحتاج إلى وقت طويل لقراءته .

وجمع هذه الموضوعات فى كتاب ، أسهل بكثير من البحث عن أعداد الجريدة كلها التى نشرتها للمرة الأولى .

أما الموضوعات الروحية الأخرى التى نشرت لى فى جرائد أو مجلات عامة ، فلست أذكر فى الواقع متى وأين نشرت ، حتى أجمعها .

نكتفى بهذا الآن ، ونشكر الله على إمكاننا جمعه ونشره .

شنوده الثالث

الثمن جنيهان

http://coptic-treasures.com